فوائد مختارة من بعض كتب العلامة السعدي

جمع
فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

جميع حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..أما بعد: فمن العلماء الربانيين, والدعاة العاملين, العلامة الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله المتوفى سنة (١٣٧٦هـ). فقد كان معلماً, مربياً, واعظاً, خطيباً, مفتياً, مستشاراً, مؤلفاً.

فالشيخ له مؤلفات كثيرة, في فنون عديدة, تمتاز بسهولة العرض, ووضوح العبارة, مع كثرة الفوائد العلمية, والتحف الثمينة, والإرشادات التربوية, والتوجيهات السلوكية, والنصائح السديدة, وقد يسّر الله الكريم لي فأطلعتُ على بعضٍ منها, وقد انتقيتُ بعض الفوائد منها, أسأل الله أن ينفع بها, ويبارك فيها, كما أسأله أن يرفع درجة الشيخ في الجنة, وأن يجمعنا به ووالدينا ومن نحب, في أعلى عليين, إنه سميع مجيب.

المجاهد حقيقية:

فسر المجاهد بأنه: الذي جاهد نفسه على طاعة الله, فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات, أمارة بالسوء, سريعة التأثر عند المصائب, وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله, وثباتها عليها, ومجاهدتها عن معاصي الله, وردعها عنها, وجهادها على الصبر عند المصائب....فالمجاهد حقيقة: من جاهدها على هذه الأمور, لتقوم بواجبها ووظيفتها.

من أسباب العشرة الطيبة بين الزوجين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه: (لا يفرك مؤمن مؤمنة, إن كره منها خُلُقاً, رضي منها آخر) رواه مسلم

هذا الإرشاد من النبي صلى الله عليه وسم للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة بالمعروف, فنهى المؤمن عن سوء عشرته لزوجته, والنهي عن الشيء أمر بضدهِ, وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة, فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة, والمحاسن التي يحبها, ونظر إلى السبب الذي دعاه إلى التضجر منها وسُوء عشرتها, رآه شيئاً واحداً أو اثنين مثلا! وما فيها مما يحب أكثر, فإذا كان منصفاً, أغضى عن مساويها, لاضمحلالها في محاسنها, وبهذا: تدوم الصحبة, وتُؤدى الحقوق الواجبة والمستحبة, وربما أن ما كره منها تسعى بتعديله أو تبديله.

وأما من أغضى عن المحاسن ولحظ المساوى– ولو كانت قليلة – فهذا من عدم الإنصاف, ولا يكاد يصفو مع زوجته.

بركة الرزق:

أول بركة الرزق: أن يكون مؤسساً على التقوى, والنية الصالحة, ومن بركة الرزق: أن يوفق العبد لوضعه في مواضعه الواجبة والمستحبة, ومن بركة الرزق: أن لا ينسي العبد الفضل في المعاملة, كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٧] بالتيسير على المُوسرين, وإنظار المعسرين, والمحاباة عند البيع والشراء, بما تيسر من قليل أو كثير, فبذلك ينال العبد خيراً كثيراً.

العلم النافع:

أما العلم النافع: فهم العلم المزكي للقلوب والأرواح, المثمر لسعادة الدارين, وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث وتفسير وفقه, وما يعين على ذلك من علوم العربية.

خير الناس وشر الناس:

فخير الناس: من كانت شهواته وهواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم, وغضبه ومدافعته في نصر الحق على الباطل.

وشر الناس: من كان صريع شهوته وغضبه, ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من أسباب صفاء القلب ونقائه:

من أخلص أعماله كلها لله, ونصح في أموره كلها لعباد الله, ولزم الجماعة بالائتلاف, وعدم الاختلاف, صار قلبه صافياً نقياً, وصار لله ولياً, ومن كان بخلاف ذلك, امتلأ قلبُهُ من كلِّ آفةٍ وشر, والله أعلم.

البشرى للمؤمن في الدنيا والآخرة:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أرأيت الرجل يعملُ العمل من الخير, ويحمده أو يحبه الناس عليه؟قال(تلك عاجل بشرى المؤمن)[مسم]أخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن آثار الأعمال المحمودة المعجلة أنها من البشرى فإن الله وعد أولياءه وهم:المؤمنون المتقون بالبشرى في هذه الحياة وفي الآخرة

والبشارة: الخبر أو الأمر السارَّ الذي يعرفُ به العبدُ حسن عاقبته, وأنه من أهل السعادة, وأن عمله قبول.

أما في الآخرة, فهي البشارة برضا الله وثوابه, والنجاة من غضبه وعقابه, عند الموت, وفي القبر, وعند القيام إلى البعث, يبعث الله لعبده المؤمن في تلك المواضع بالبشرى على يدي الملائكة, كما تكاثرت بذلك نصوص الكتاب والسنة, وهي معروفة.

وأما البشارة في الدنيا التي يعجلها الله للمؤمنين– نموذجاً وتعجيلاً لفضله, وتعرفاً لهم بذلك وتنشيطاً لهم على الأعمال– فأعظمها: توفيقه لهم للخير, وعصمتُه لهم من الشِّر, كما قال صلى الله عليه وسلم: (أما أهل السعادة, فييسَّرون لعمل أهل السعادة) فإذا كان العبد يجد أعمال الخير ميسرةً له, مسهّلةً, ومحفوظاً بحفظ الله عن الأعمال التي تضُرُّه, كان هذا من البشرى التي يَستدلُّ بها المؤمن على عاقبة أمره, فإن الله أكرمُ الأكرمين, وأجودُ الأجودين, وإذا ابتدأ عبده بالإحسان أتمَّهُ.

ومن ذلك...إذا عمل العبدُ عملاً من أعمال الخير...وترتب على ذلك محبة الناس له, وثناؤهم عليه, ودعاؤهم له, كان هذا من البشرى أن هذا العمل من الأعمال المقبولة, التي جعل الله فيها خيراً وبركة.

-(٦)

ومن البشرى في الحياة الدنيا: محبةُ المؤمنين للعبد, لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا ﴾ [مريم:٩٨] أي: محبة منه لهم, وتحبيباً لهم في قلوب العباد.

ومن ذلك: الثناء الحسن, فإن كثرة ثناء المؤمنين على العبد شهادة منهم, والمؤمنون شهداء الله في أرضه.

ومن ذلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له, فإن الرؤيا الصالحة من المبشرات

ومن البشرى: أن يقدر الله على العبد تقديراً يحبُّهُ أو يكرهُهُ, ويجعل ذلك التقدير وسيلة إلى صلاح دينه, وسلامته من الشرِّ.

وأنواع ألطاف الباري لا تُعدُّ ولا تُحصى ولا تخطرُ على البال, ولا تدور في الخيال.

أشياء مجربة:

* الصدقة لله التي في محلها لا تنفد المال قطعاً, ولا تنقُصُهُ بنصِّ النبي صلى الله عليه وسلم وبالمشاهدات والتجربات المعلومة, هذا كله سوى ما لصاحبها عند الله من الثواب الجزيل, والخير والرفعة.

* العاقل يسعى في طلب الرزق بما يتضح له أنه أنفع له وأجدى في حصول مقصوده, ولا يتخبط في الأسباب خبط عشواء, لا يقر له قرار, بل إذا رأى سبباً فتح له باب رزق فليلزمه, وليثابر عليه, وليجمل في الطلب, ففي هذا بركة مجربة.

* كم من إنسان كان رزقه مقتراً فلما كثرت عائلته والمتعلقون به وسع الله له الرزق من جهات وأسباب شرعية قدرية إلهية...وكل هذا مجرب مشاهد.

* وهذا مشاهد مجرب, إذا أحب العبد أهل الخير رأيته منضماً إليهم, حريصاً على أن يكون مثلهم, وإذا أحب أهل الشر انضم إليهم, وعمل بأعمالهم.

المراد بفتنة المسيح الدجال:

قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن فتنة المسيح الدجال): هذا تخصيص بعد تعميم, وخصها لأنها من أعظم الفتن, ويحتمل أن المراد بذلك: الشخص الذي ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه يخرج في آخر الزمان, وفتنته من أعظم الفتن, ومحتمل أن المراد بذلك: الجنس فيعمّ كل فتنة من جنس فتنته وهذا أحسن من الأول, لأنه أعمّ

مراتب الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿ ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] وهذه مراتب الدعوة إلى الله تعالى:

فالدعاء بالحكمة لمن معه فهم وحسن قصد, فيكفي في دعوته أن يبين له الحق, لأن معه ما معه من الرغبة يدعوه إلى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

والدعاء بالموعظة الحسنة يكون لمن معه شهوة وإعراض, فإنه يبين له الحق, ويرغب ويرهب, فلا يكفى فيه مجرد تبين الحق, لأن داعي الشهوة يمنعه من اتباع ما أمر به, فإذا قوبل بالترغيب والترهيب, كان أبلغ وأنجح.

والمجادلة بالتي هي أحسن تكون للمعارض – والعياذ بالله من ذلك – فهذا لا ينفع فيه الوعظ ولا التذكير, فيجادل بالتي هي أحسن.

استحباب الصلاة لجميع الآيات التي تقع خارقة للعادة:

قوله صلى الله عليه وسلم:(إن هذه الآيات التي يرسلها الله...)الخ, فيه: استحباب الصلاة لجميع الآيات التي تقع خارقة للعادة, كالزلزلة, والظلمة بالنهار, وكثرة الرمي بالشهب, ونحو ذلك.

لا منافاة أن يدرك الكسوف بالحساب وأن يكون مما يخوف الله به عباده:

الكسوف...يدرك بالحساب, ولا منافاة بين..أنه يدركه البصير بالحساب, وأن الله يخوف به عباده, فإن الأشياء توجد بوجود أسبابها, مع ما في ذلك من الحِكَم والمصالح العظيمة, ولكن الغلط أن يقال: إنه يقع بموجب الحساب, وليس مما يخوف الله به عباده, ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع في ومنه, قام فزعاً يخشى أن تكون الساعة.

عدم إفشاء وإعلان الكسوف:

وإن كان يدرك بالحساب..فإن الله يخوف به عباده, فلا ينبغي إفشاؤه وإعلانه, لأن ذلك يأمن الناس, ولا يحدث معهم الخوف, ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس, ومع ذلك فزع, وخوف الناس وحذرهم.

خطبة الكسوف مستحبة في هذا الزمن:

هذا الحديث أجمع ما ورد في صلاة الكسوف [حديث عائشة في الصحيحين] وفيه: أنه خطب, وهل هي خطبة لازمة لصلاة الكسوف...الصحيح: التفصيل, وأنها تستحب للحاجة, وأما مع عدم الحاجة فلا تستحب, ففي زماننا هذا تستحب.

الذنوب سبب العقوبات في الدنيا والآخرة:

قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أمة محمد ! والله ما من أحدٍ أغير من الله أن يزني عبده, أو تزني أمته) ففي هذا: بيان أن سبب العقوبات في الدنيا والآخرة هي الذنوب, فبين غيرة الله تعالى إذا انتهكت محارمه التي من أعظمها الزنا, فإنه غالباً لا يمهل صاحبه, والله تعالى غيور.

التعزية:

يستحب تعزية المصاب بالميت, والتعزية ليست كما يظن بعض العوام أنها مجرد قول: (أعظم الله أجرك, وأحسن عزاك, وغفر لميتك) بل هي كما قال أبو الوفاء بن عقيل, قال رحمه الله كلاماً معناه: إن التعزية هي أن تأتي إلى قلب قد هدته المصيبة وغيرته, فلا تزال تلقي عليه من الآيات والأحاديث والترغيب والترهيب حتى ترده إلى الحق, فهذه التعزية حقاً, سواء كانت مشافهة, أو بكتابة إذا كان بعيداً.وأما يفعله بعض الناس اليوم, بل كلهم إلا النادر, فليست بتعزيةٍ, وهي لتهييج الأحزان أقرب منها للتعزية

مراعاة المصالح وتقديم الراجح منها:

كان الشيخ عبدالله أبا بطين يرى فطره [يقصد الشيخ يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو قتر] ولما كان قاضياً في عنيزة كان يعمل برأيه, فلما راح إلى بريدة, وكان قاضيها تلميذه الشيخ سليمان بن مقبل, وكان يرى صيام ذلك اليوم, فتابعه الشيخ عبدالله أبا بطين على رأيه, فقيل له في ذلك, فقال: الخلاف شر, والاجتماع خير,...فالعلماء رحمهم الله تعالى يراعون المصالح ويقدمون الراجح منها.

بركة المال ومحقه:

من البركة: التَّهني بالمال, وبذله فيما يقرب إلى الله, وأن يكون زاداً لصاحبه إلى الجنة, ومن محق البركة: أن يشغله عن طاعة الله, ولا يتهنى فيه, وأن يبذله فيما حرم الله, وأن يكون خزياً له في الدنيا والآخرة.

-(١٠)

فوائد متفرقة:

* الضحك في محله محمود, وهو دليل على حسن الخلق, ولين الجانب, كما أنه في غير محله دليل على قلة العقل.

*كما يستحب الاستسقاء إذا احتيج إليه, فيستحب الاستصحاء إذا كثر المطر, وخيف الضرر, لكن لا يصلى له, لأنه لم يرد إلا أن يقال: يصلى له إذا كثر, لأنه من جملة الآيات فليس ببعيد.

* يحرم على النساء زيارة القبور,...واستثنى العلماء قبر النبي صلى الله عليه وسلم, وقبري صاحبيه, فقالوا: يباح لهن زيارته, وقد تعبنا بطلب الدليل على استثنائه, فلم نجد لذلك دليلاً.

* بركة الله لا يعدلها شيء, وليس لها منتهى.

* الصدقة..تدفع بلاء الدنيا والآخرة.

المراد بإحصاء أسماء الله الحسنى:

في الحديث الصحيح(إن لله تسعة وتسعين اسماً, من أحصاها دخل الجنة)وإحصاؤها تحصيل معانيها في القلب, وامتلاء القلب من آثار هذه المعرفة, فإن كلَّ اسم له في القلب الخاضع لله المؤمن به أثر وحال لا يُحصّلُ العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجل وأعظم منها, فنسأله تعالى أن يمنَّ علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه.

اسم الله الأعظم:

التحقيق أن الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معين, فإن أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دلَّ على صفة واحدة أو صفتين, أو تضمن أوصافاً معدودة.

والثاني: ما دلَّ على جميع ما لله من صفات الكمال, وتضمن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال, فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دلَّ عليه من المعاني التي هي أعظم المعاني وأوسعها.فالله اسم أعظم, وكذلك الصمد, وكذلك الحي القيوم, وكذلك الحميد المجيد, وكذلك الكبير العظيم, وكذلك المحيط, وهذا التحقيق هو الذي تدل عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة, وبه تجتمع الأقوال الصحيحة كلّها,

الأخلاق الكاملة والآداب السامية:

الأخلاق الكاملة والآداب السامية تجعل صاحبها مستقيم الظاهر والباطن, معتدل الأحوال, مكتمل الأوصاف الحسنة, طاهر القلب, نقي من كل درن وآفة, قوي القلب, متوجهاً قلبه إلى أعلى الأمور وأنفعها, قائماً بالحقوق الواجبة والمستحبة, محموداً عند الله وعند خلقه, قد حاز الشرف والاعتبار الحقيقي, وسلم من كل دنس وآفة, قد تواطأ ظاهره وباطنه على الاستقامة, وسلوك طريق الفلاح.

-(١٢)

من ثمرات الإخلاص:

المخلص لله قد علق قلبه بأكمل ما تعلقت به القلوب من رضوان ربه وطلب ثوابه, وعمل على هذا المقصد الأعلى فهانت عليه المشقات وسهلت عليه النفقات, وسمحت نفسه بأداء الحقوق كاملة موفرة, وعلم أنه قد تعوض عما فقده أفضل الأعواض وأجزل الثواب وخير الغنائم

وأيضاً من ثمرات الإخلاص أنه يمنع منعاً باتاً من قصد مراءة الناس وطلب محمدتهم, والهرب من ذمهم, والعمل لأجلهم, والوقوف عند رضاهم وسخطهم, والتقيد بإرادتهم ومرادهم, وهذا هو الحرية الصحيحة أن لا يكون القلب متقيداً متعلقاً بأحد من الخلق.ومن ثمرات الإخلاص أن العمل القليل من المخلص يعادل الأعمال الكثيرة من غيره, وأن أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) وأنه أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله, يوم لا ظل إلا ظله: رجلان تحابا في الله اجتمعاً عليه وتفرقاً عليه, ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه, وأن المخلص يصرف الله عنه السوء والفحشاء ما لا يصرفه عن غيره, قال تعالى عن يوسف: ﴿كَذلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السّوءَ وَالفَحشاءَ إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصينَ﴾ [يوسف:٢٤] قرئ بكسر اللام وفتحها, وهما متلازمتان, لأن الله تعالى لإخلاصهم جعلهم من المخلصين.ومن ثمرات الإخلاص الطيبة أن المخلص إذا عمل مع الناس إحساناً قولياً أو فعلياً أو مالياً أو غيره, لم يبال بجزائهم ولا شكرهم لأنه عامل الله تعالى, والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمخلصون هم خلاصة الخلق وصفوتهم, وهل يوجد أكمل ممن خلصت إرادتهم ومقاصدهم لله وحده, طلباً لرضاه وثوابه.

-(١٣)

فضل العلم:

العلم يقصر التعبير عن كنه وفضله, وعلو مرتبته, ويكفي في هذا أن جميع الأقوال والأفعال والإرادات متوقفة في صحتها وفسادها وكمالها ونقصها وفي جميع صفاتها على العلم. ما حَكَمَ به العلم من ذلك فهو كما قال, وإن العلم نور للصدور وحياة للقلوب, به يعرف الله, وبه يُعبد, وبه يعرف الحلال من الحرام, والطيِّب من الخبيث, وبه يميز بين الأبرار والفجار, وأهل الجنة وأهل النار.

والعلم يقوّم ما اعوج من الصفات, ويكمل ما نقص من الكمالات, ويسد الخلل, ويصلح العمل, وبه صلاح الدين والدنيا, وبضده فساد ذلك ونقصه. العلم ميراث الرسول, والعلماء ورثة الأنبياء, فإن الأنبياء لم يورثوا إلا العلم, فمن أخذ به أخذ بحظ وافر, ولولا العلم لكان الناس كالبهائم, والحاجة إلى العلم أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب.

والعلوم النافعة هي العلوم الشرعية, وما أعان عليها من علوم العربية بأنواعها, ومن العلوم الشرعية تعلم الفنون المعينة على الدين, وعلى قوة المسلمين, وعلى الاستعداد للأعداء للمقاومة والمدافعة, فإنها داخلة في الجهاد في سبيل الله, فكل أمرٍ أمرَ به الشارع, وهو يتوقف على أمور كانت مأموراً بها, والله أعلم.

راحة القلب وسروره أسباب لا تجتمع كلها إلا للمؤمنين:

راحة القلب وزوال همومه وغمومه هو المطلب لكل أحد, وبه تحصل الحياة الطيبة ويتم السرور, والابتهاج, ولذلك أسباب دينية, وأسباب طبيعية, وأسباب علمية, ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين, وأما من سواهم فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومالاً

الأسباب التي تدفع الهموم وتجلب السرور:

أعظم الأسباب لذلك وأسَّها هو: الإيمان والعمل الصالح, قال تعالى: ﴿ مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ ﴾ [النحل:٩٧] فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح, بالحياة الطيبة في هذه الدار, وبالجزاء الحسن في هذا الدار, وفي دار القرار.وسبب ذلك واضح فإن المؤمنين بالله الإيمان الصالح, المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة, معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج, وأسباب القلق والهم والأحزان.يتلقون المحاب والمسار بقبول لها, وشكر عليها, واستعمال لها فيما ينفع, فإذا استعملوها على هذا الوجه, أحدث لهم من الابتهاج بها, والطمع في بقائها وبركتها, ورجاء ثواب الشاكرين,...ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته وتخفيف ما يمكن تخفيفه, والصبر الجميل لما ليس لهم عنه بد, وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة, والتجارب والقوة, ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أموراً عظيمة تضمحل معها المكاره.

ـ(١٥)

ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل وأنواع المعروف..وبها يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها, ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب, ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير.

ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب, واشتغال القلب ببعض المكدرات: الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة, فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه. ا

ومما يدفع به الهم والقلق اجتماع الفكر كله على الإهتمام بعمل اليوم الحاضر, وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل, وعن الحزن على الوقت الماضي..فيكون العبد ابن يومه, يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر.

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حيث قال: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) فإن العبد إذا نصب عينيه هذا الملحظ الجليل, رآه يفوق قطعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها, وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال, فيزول قلقه وهمه وغمه ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة, فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم, ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حال فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه التي لا يحصى لها عد ولا حساب وبين ما أصابه من مكروه لم يكن للمكروه نسبه

ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله, فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته, وزوال همه وغمه, قال تعالى: ﴿ أَلا بِذِكرِ اللَّـهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]

ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري, وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي, وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي, واجعل الحياة زيادة لي في كل خير, والموت راحة لي من كل شر)

وكذلك قوله: (اللهم رحمتك أرجو, فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين, وأصلح لي شأني كله, لا إله إلا أنت)

ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية, بل وأيضاً للأمراض البدنية: قوة القلب, وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة, لأن الإنسان متى استسلم للخيالات, وانفعل قلبه للمؤثرات, من الخوف من الأمراض وغيرها, ومن الغضب والتشويش, ومن توقع حدوث المكاره وزوال المحاب, أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية, والانهيار العصبي الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة.ومتى اعتمد القلب على الله, وتوكل عليه, ولم يستسلم للأوهام, ولا ملكته الخيالات السيئة, ووثق بالله وطمع في فضله, اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم, وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية, وحصل للقلب من القوة والإنشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه..فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام ولا تزعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس, ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له.

شرح حقائق هذا الدين كافية لجذب الخلق إليه:

فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه, ويُبيون للخلق مصالحه, لكان ذلك كافياً كفاية تامة في جذب الخلق إليه, لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية, ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شُبه المعارضين, والطعن في أديان المخالفين.

فإنه في نفسه يدفع كل شُبهةٍ تعارضهُ, لأنهُ حق مقرون بالبيان الواضح, والبراهين الموصلة إلى اليقين, فإذا كُشِفَ عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره.

لولا تكرر الصلاة في اليوم والليلة ليَبسَت شجرة الإيمان:

تأمل ما في الصلاة من الإخلاص لله, والإقبال التام عليه, والثناء والدعاء والخضوع, وأنها من شجرة الإيمان بمنزلة الملاحظة والسقي للبستان, فلولا تكرُّرُ الصلاة في الإيمان في اليوم والليلة ليَبسَت شجرة الإيمان, وذوي عودُه, ولكنها تنمو وتتجددُ بعبوديات الصلاة.

حِكمِ الزكاة:

انظر إلى حكم الزكاة وما فيها من التخلُّق بأخلاق الكرام, من السخاء والجود والبعد عن أخلاق اللئام, والشكر لله على ما أولاه من الإنعام, وحفظ المال من المنغصات الحسية والمعنوية, وما فيها من الإحسان إلى الخلق ومواساة المحتاجين, وسداد المصالح المحتاج إليها,فإن في الزكاة دفع حاجة المضطرين المحتاجين,...وفيها دفع صولة الفقر والفقراء, وفيها الثقة بخلف الله, والرجاء لثوابه, وتصديق موعودة

حِكَمِ الصوم:

وفي الصوم من تمرين النفوس على ترك محبوبها الذي ألفته, حُباً لله, وتقرباً, وتعويد النفوس وتمرينها على قوة العزيمة والصبر.

وفيه تقوية داعي الإخلاص, وتحقيق محبته على محبة النفس, ولذلك كان الصوم لله, اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال.

فوائد الحج:

وأما ما في الحج من بذل الأموال, وتحمل المشقات, والتعرض للأخطار والصعوبات, طلباً لرضى الله, والوفادة على الله, والتملق له في بيته وفي عرصاته, والتنوع في عبوديات الله في تلك المشاعر التي هي موائد مدَّها الله لعباده ووفود بيته وما فيها من التعظيم والخضوع التام لله, والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين, والأصفياء والمخلصين, وتقوية الإيمان بهم, وشدة التعلق بمحبتهم.

وما فيها من التعارف بين المسلمين, والسعي في جمع كلمتهم, واتفاقهم على مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تعداده, فإنه من أعظم محاسن الدين, وأجلِّ الفوائد الحاصلة للمؤمنين.

فوائد الزكاة:

الزكاة أحد أركان الإسلام, ومبانيه العظام, شرعها الله رحمة بعباده, لكثرة منافعها الكلية والجزئية, ولهذا سميت زكاة, لأنها تزكى صاحبها فيزداد إيمانه, ويتم إسلامه, ويتخلق بأخلاق الكرماء, ويتخلى من أخلاق اللؤماء, وتطهره من الذنوب, ويكثره أجره وثوابه وقربه من الله, ويبارك الله في أعماله, وتزكو حسناته, وتقبل طاعاته, ويدخل في غمار المحسنين, فالزكاة أصل الإحسان إلى الخلق, وكذلك تزكى المال المخرج منه بحفظه من الآفات, واستخلاصه من مخالطة السحت الذي ينسحت ويسحت ما خالطه, ويبارك فيه, فإنه وإن نقصته الزكاة حساً فإنها زادته معنى, لأنه ذهب خبثه وكدره, وبقي صافياً, صالحاً للنمو, واستمر على الدوام, كما ذكر النبي صلى الله عليه هذا المعنى بقوله: (ما نقصت صدقة من مال, بل تزيده, بل يزيده) قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]

فوائد الصيام:

أما حكمة الصيام: ذكر الله في ذلك معني جامعاً, فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٢] يجمع جميع ما قاله الناس في حكمة الصيام, فإن التقوى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من المحبوبات وترك المنهيات, فالصيام الطريق الأعظم للوصول إلى هذه الغاية, التي هي غاية سعادة العبد في دينه ودنياه وآخرته, فالصائم يتقرب إلى الله بترك المشتهيات تقديماً لمحبته على محبة النفس.

ولهذا اختصه الله من بين الأعمال حيث أضافه إلى نفسه في الحديث الصحيح, وهو من أصول التقوى إذ الإسلام لا يتم بدونه, وفيه من زيادة الإيمان وحصول الصبر والتمرن على المشقات المقربة إلى رب السموات, وأنه سبب لكثرة الحسنات من صلاة وقراءة وذكر وصدقة,..وفيه من ردع النفس عن الأمور المحرمة من الأفعال المحرمة والكلام المحرم ما هو عماد التقوى

-(٢١)

فوائد الحج:

الحج..فرضه العليم الحكيم الحميد في جميع ما شرعه وخلقه, واختص هذا البيت الحرام, وأضافه إلى نفسه, وجعل فيه وفي عرصاته والمشاعر التابعة له من الحكم والأسرار ولطائف المعارف ما يضيق علم العبد عن معرفته, وحسبك أنه جعله قياماً للناس, به تقوم أحوالهم ويقوم دينهم ودنياهم, فلولا وجود بيته في الأرض وعمارته بالحج والعمرة وأنواع التعبدات لآذن هذا العالم بالخراب, ولهذا من أمارات الساعة واقترابها هدمه بعد عمارته, وتركه بعد زيارته, لأن الحج مبني على المحبة والتوحيد الذي هو أصل الأصول كلها, فمن يدخل فيه الإنسان يقول: لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك, إن الحمد والنعمة لك والملك, لا شريك لك.ولا يزال هذا الذكر وتوابعه حتى يفرغ, ولهذا قال جابر رضي الله عنه: فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد, لأن قول الملبي: لبيك اللهم لبيك, التزام لعبودية ربه, وتكرير لهذا الالتزام بطمأنينة نفس, وانشراح صدر, ثم اثبات جميع المحامد, وأنواع الثناء, والملك العظيم لله تعالى, ونفي الشريك عنه في ألوهيته وربوبيته وحمده وملكه, وهذا حقيقة التوحيد, وهو حقيقة المحبة, لأنه استزارة المحب لأحبابه, وإيفادهم إليه ليحظوا بالوصول إلى بيته, ويتمتعوا بالتنوع في عبوديته, والذل له, والانكسار بين يديه, وسؤالهم جميع مطالبهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية في تلك المشاعر العظام والمواقف الكرام ليجزل لهم من قراه وكرمه, ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر, وليحط عنهم خطاياهم, ويرجعهم كما ولدتهم أمهاتهم, والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة, ولتحقيق محبتهم لربهم بإنفاق نفائس أموالهم, وبذل مهجهم بالوصول إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس.

(٢٢)-

القول السديد في مقاصد التوحيد

ثمرات التوحيد وفضائله:

من فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة, ودفع عقوبتهما.

ومن أجلِّ فوائده أنه يمنع الخلود من النار. إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.وأنهُ إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة

ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه, وأن أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد, فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات, فالمُخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه, ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي, لما يخشى من سخطه وعقابه.

ومنها: أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه, وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان, وجعله من الراشدين.

ومنها: أنه يُخفّفُ على العبد المكاره ويهوّنُ عليه الآلام, فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان, يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرحٍ ونفسٍ مطمئنةٍ, وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم, وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمُل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيراً, وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصرٍ ولا حساب, ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تُقابلها السموات والأرض وعمّارها من جميع خلق الله.

ومن فضائله: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

ومنها: أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة, ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

وجوب معرفة ثلاثة أمور في الأسباب:

يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:**أحدها**: أن لا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً وقدراً.**ثانيها**: أن لا يعتمد العبد عليها, بل يعتمد على مسببها ومقدرها, مع القيام بالمشروع منها, وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره ولا خروج لها عنه, والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء, إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا تمام حكمته حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها, وإن شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته, وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده., فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب.

دعاء الله بأسمائه الحسنى واستحضار معانيها حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضاها:

أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة والمعارف الجميلة والتعبد لله بها ودعاؤه بها

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه, فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى, فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق, ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحمن الرحيم البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعو بأسمائه وصفاته دعاء العبادة, وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها.

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيماً لله وإجلالاً له. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً له وشكراً.وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات السيئة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه, والتفاتاً إليه كل وقت, في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته, وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها, وهي أفضل العطايا من الله لعبده, وهي روح التوحيد وروحه, ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمِّل من الموحِّدين.

فوائد الاشتغال في الفقه في الدين:

الاشتغال في الفقه في الدين فيه فوائد عظيمة لا يشاركه فيها شيء.

منها: أنه من أكبر القرب التي يتقرب بها إلى رب العالمين, وينال بها رضاه ويدرك بها ثوابه, وقد فضله أكثر العلماء على كل العبادات, فكيف عند أشد الحاجات إليه.

ومنها: أن من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً, طريقاً حسياً أو معنوياً, سلك الله وسهل له طريقاً إلى الجنة.

ومنها: أن من يرد الله به خيراً يفقه في الدين, فمن أعظم علامات الخير للعبد, وأن الله أراد فلاحه وسعادته, أن يرزقه السعي في تحصيله ويعلمه إياه.

ومنها: أنه ميراث النبي صلى الله عليه وسلم, فليستقل العبد منه أو يستكثر, فله من إرث النبي صلى الله عليه وسلم, ومن النيابة عنه بحسب حاله.

ومنها: أن جميع الأمور الدينية والدنيوية توزن بميزان العلم, فيُبين العلم مراتبها ودرجاتها في الصحة والكمال وضدها, والحق والصدق وضده, وفي جميع أوصاف الأشياء, فكل شيء مضطر إليه.

ومنها: عموم نفعه, وشمول ثمرته, فالاشتغال به خير نفسه, وحصوله في القلب وفقه خير آخر, لأنه يخرج القلب من دائرة الجهل إلى دائرة العلم, وهو كالنور بين يدي العبد يعرف به أحوال نفسه وصفات ظاهره وباطنه.

ثم من حيث تعديه إلى الغير, فنفس تعليمه للمسترشدين وإلقاء الدروس على الطالبين والنظر في فتاوى المستفتين

ثم كل من انتفع به في نفسه ونفع به غيره بسببك فهو حسنات جارية لك حياً وميتاً

وصايا ونصائح وإرشادات الشيخ لتلميذه الشيخ عبدالله بن عقيل رحمهما الله:

* وصية لك ولا بد من جهة الجد والاجتهاد في مطالعة الكتب الفقهية في كل فرصة تغتنمها. لا يحتاج من يحثك على ملازمة كتب الفقه, وخصوصاً شرح الزاد, لأنها أعظم لك على ما أنت بصدده.

* الأمل أنك ما تدخر من الجد والاجتهاد وفي نفع من لديك, خصوصاً من تظن فيه أهليته للطلب, فهذا هو المكسب الرابح, والربح المنمى, جعلكم الله من الدعاة إلى سبيله, آمين.

* ولا بد وصيتنا على بالكم, وهي جدك واجتهادك في كل ما تقدر عليه من الإصلاح, خصوصاً الإصلاح العلمي, فإنه أعلى فضيلة حصلها العبد, وأنفع وأدوم, ولا يمنعك ما ترى من عدم حصول المقصود عاجلاً, فإن السعي مع النية الصالحة, لا بد أن يكون لهما ثمرات, والصبر لا بد منه في جميع الحالات, وآفة العمل الضجر والسآمة, وأعظم جالب لهما عدم الاحتساب.

* في هذه الأوقات يتعين على كل من عنده علم أن ينشره بحسب قدرته, ويلقيه على الناس على اختلاف طبقاتهم من طلبة وعوام وخواص على قدر ما تسنح الفرصة, فلو جرى أهل العلم هذا المجرى لحصل خير كثير, فما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه.ولا ينبغي لهم أن يملكهم اليأس ويعتذروا بكسل الناس, وليقتدوا بمعلم الخير وإمام الخلق صلوات الله وسلامه عليه, فإنه مازال يدعو الخلق في جميع الأوقات, ويكرر الدعوة مع إعراض المدعوين ومعارضتهم, ويدعو إلى سبيل ربه بالتي هي أحسن, ولا يمل ولا يسأم من الدعوة والتعليم سواء وافق إقبالاً من الناس ونجاحاً, أو صادف نفوراً وإعراضاً.

* تذكر من جهة استشارتي في قول الشعر عندما تسنح الفرصة وأنه ميسر عليك؟
فالذي لا ينبغي كون الإنسان يتصدر لعمل الشعر, ويأخذ جزءاً كبيراً من وقته وقلبه, أما إذا عرض له أحياناً البيتان والثلاثة ونحوهما في بعض المواضيع الحسنة أو المباحة, فلا محذور في ذلك, وما زال أهل العلم على هذا, والذم لا يتناول هذا.
* أما فن التاريخ: فأحسن الموجود منها: تاريخ الكامل لابن الأثير, وقال له في رسالة ثانية: تذكر أن ابن الأثير مطول, وتحب أخصر منه؟ فابن الأثير مع طوله أولى من غيره, من مطول ومختصر.
وأما أولى التفاسير الموجودة بالمطالعة؟ فلا أحسن من ابن كثير لفهم المعاني, ولا مثل صديق وحاشية الجمل لمسائل العربية والنكت اللطيفة.
* أكثر ما سرني ترتيبكم للطلبة دروس حسب ما شرحت في كتابك.
* يعجبني منك الاتصال بالمشايخ, وحرصك على الاتفاق معهم, وذلك لا شك فيه من الفوائد والثمرات ما لا يخفى.
* مطلوبكم نصيحة...فأكبر النصائح التي كررها الباري علينا الجد والاجتهاد في تحقيق الإخلاص في أمورنا الكلية والجزئية, أما الكلية فأن يطلع الله على قلب العبد وليس في حشوه سوى قصد مرضاة الله وطلب ثوابه, وأن تكون على الدوام مريداً لطاعته وطاعة رسوله ونفع عباده.ثم بعد هذا, تُحقق هذا الأصل العظيم في جزيئات أعمالك, وفي كل قول من أقوالك, وفعل من أفعالك.وأن تجتهد في دفع كل ما يعارض هذا الأصل الذي هو أنفع الأصول وأصلحها للقلب وأعظمها فوائد ونتائج.ومع اجتهادك فيه تلجأ إلى الله تعالى في إعانتك عليه وتيسيره, فنسأله تعالى أن لا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين إنه جواد كريم.

استعداد الشيخ لقبول الحق من صغار الطلبة فضلاً عن المشايخ:

قال الشيخ: إني ممنون إذا رأى عليَّ أحد خطأ أن ينبهني, فإني ممنون بذلك من صغار الطلبة, فضلاً عن المشايخ.

رد الشيخ بلطف, على من أنكر عليه في مسألة بشدة:

قال الشيخ في رسالة أرسلها لتلميذه الشيخ عبدالله بن عقيل رحمهما الله: من مدة وصلني كتاب...ينكر فيه ما ذكرته في باب حكم المرتد وتفصيلنا في أهل البدع ذلك التفصيل, وإنكاره في شدة عظيمة, فرددت كلامه بلطف, وأحلته بهذا التفصيل على كلام الشيخ وابن القيم, ولم أناقشه في شدته, ولا حاسبته على ألفاظ غير اللائقة, لأني ظهر لي أن البحث والتمادي معه ماله ثمرة ولا نتيجة.

ثم جاءني كتاب أشدُّ من الأول, ويزعم أن هذا التفصيل مخالف لمذهب الأمة, وأنه باطل متناقض, وأننا أتينا بمنكرات وطامات...إلى آخر ما ذكر.

كلام يعجب الإنسان كيف يصدر ممن ينتسب للعلم من دون أن يعرف ما عند صاحبه, ومن دون أن نقابله.

لهذا ما أحببت أتمادى معه في البحث الطويل, فتجد جواب خطه الأخير طي كتابك تشرف عليه, وترسله للمذكور, لأن الظاهر أنه– إن شاء الله – مهوب كله هوى, لأني ما أعرفه ولا يعرفني, ولا جرى بيني وبينه قبل هذا أدنى مكاتبة, وإنما حمله على ذلك أنه انعقد في فكره هذا..الذي يراه في تكفير الجهمية والمعتزلة من غير فرق بين المعاند وغيره, ولم يعرف الطريق إلى إنكار ما اعتقده منكراً, فجاء بهذه الطريقة التي ليس لها مقدمة, ولا جرى من صاحبه عناد يوجب له ما أوجب, نرجو الله يوفق الجميع لكل خير.

ـ(٢٩)

علاج الشيخ الحكيم لمشكلة وقعت:

قال الشيخ في رسالة لتلميذه الشيخ عبدالله بن عقيل رحمهما الله عن حادثة وقعت: صورة الواقعة..أن الدناصوري كان على عادته في مسجد الصويطي يلقي تفسير القرآن,...وحضر درسه بعض الناس, فنقل عنه أنه يقول: إن الأحاديث آحاد لا تفيد اليقين, وأن القرآن ألفاظه قطعية ومعانية ظنية, ولما قيل لي ذلك عرفت أن النقل محرف, وأنه حصل سوء فهم من السامع, لما أعرفه من الرجل من الحزم والاحتراز عن كل ما ينقد, فقلت للناقل: لا بد أن تكون على غير هذا الوضع, وعرفت أنه سيشاع ذلك من غير تثبت, فبادرت وذهبت بنفسي إلى الدناصوري مستفهماً له عما وقع, فأخبرني أنه قال...وأن الذي يقول عني أني أقول أن الأحاديث كلها آحاد تفيد غلبة الظن, فهو كاذب عليَّ, وأكذب منه من يقول عني: أني أرى أن معاني القرآن لا تفيد اليقين, فأي مسلم يقول ذلك؟ وأنا مستعد لمقابلة كل من يقول عني ذلك.

أما..غيري, فإنهم حين سمعوا من قال عنه القول الذي أشيع عنه, وهو باطل, كما يقول, وكما هو ظناً, فإنهم رفعوا الأمر إلى من لهم الأمر من غير تثبت ولا تبصر ولا مفاهمة.

أما أنا فقد بينت لكل من سألني عن القضية صورة الواقع...وبينت أن الواجب على الناس احترام مثال هؤلاء الذين لم نعثر منهم على ما ينتقد, وأنه لو فرض ذلك لوجب نصيحتهم سراً, ولم يحل السعي في السعايات الضارة التي تبرهن عن مقصود صاحبها, وتبرهن على أن الذي همه السعايات بمثل هذه الأمور, أنه أجبن الناس عن النصيحة والمشافهات وأشجعهم في القول بما لا يعلم والسعايات.

واعلم أن جميع الذين قالوا عن الدناصوري وسعوا فيه ما منهم أحد شافه, لا بنفسه ولا بوساطة, وقد أراد أن يرفع برقية للملك يحتج عليهم أنهم قدحوا في دينه, فشرت عليه أن يصبر ويحتسب, والأمر وصل منتاه, ويترتب على ذلك كثرة ضرر, والناس اليوم كلهم– أو أكثرهم– عرفوا الحقيقة, فلم أزل به حتَّى وافق على رأي, الحقيقة أنها مسألة تكدر جداً من وجوه كثيرة, الله الهادي.

عدم إفتاء الشيخ بفتوى شيخ الإسلام في طلاق الثلاث بكلمه أو كلمات:

قال الشيخ في رسالة لتلميذه الشيخ عبدالله بن عقيل رحمهما الله, بتاريخ ١٣ محرم ١٣٦٠وأما سؤالك عن الراجح في مسألة الطلاق الثلاث بكلمة أو كلمات ؟ فقد تقرر وتكرر أننا نعتقد صحة ما رجحه شيخ الإسلام فيها للوجوه الكثيرة التي بينها الشيخ ابن القيم, ولكنا لا نفتي في المسألة إثباتاً ولا نفياً, لأننا نرى أن المصلحة لنا ولغيرنا ترك الفتوى فيها, وليس المحذور فقط مخالفة كثير من المشايخ, بل مع ذلك ما نحب تهاون الناس وتلاعبهم بالطلاق, وأن يجعلوا فتوانا سلماً لهم إلى تلاعبهم, فرأينا سد الباب عن الفتوى فيها أولى, وأن يتولاها غيرنا طلباً للعافية والحمد لله.

مراعاة المفتي للمصالح والمفاسد عند الفتوى:

قال الشيخ تعقيباً على ما جاء في رسالة الشيخ ابن محمود في جواز الرمي قبل الزوال أيام التشريق: لو أن صاحب الرسالة لم يفت وينشر فتواه التي رجحها واعتقدها لكان أولى فيما يظهر لي, وذلك لأنه حصل فيها ضجة كبيرة لم تسفر إلا عن اعتراضات كثيرة وأمور تقع في القلوب وخوض العالم وغير العالم, ومخالفة الرأي العام في الفتوى...فالفتوى يتعين على المفتي أن يراعي فيها جميع النواحي, فكم توقف من أهل العلم عن الإفتاء فيما يعتقدون لأغراض من جنس ما ذكرته.

أسرار وحكم الحج:

حقيقية الحج هو استزارة الرب لأحبابه ووفود بيته, وأنه أوفدهم إلى كرامته, ودعاهم إلى فضله وإحسانه, ليسبغ عليهم من النعم والكرامات وأصناف الهبات ما لا تدركه العبارة ولا يحيط به الوصف.فنوَّع لهم الأنساك والمشاعر لينوَّع لهم الإحسان, ونقلهم من كرامة إلى كرامة, ومن مائدة من موائد فضله إلى مائدة من موائد كرمه.ولهذا كل نوع من هذه العبادات له خاصية وسرّ وزيادة فضل وإيمان وتحقيق وإحسان, ليس للآخر, وكل واحد منها مضطر إليه الوافد لهذا البيت.

فتارة يطوف على بيت ربه ويكرر ذلك يترضى لربه ويتملق له ويطوف بفنائه ويخضع لعظمته.وتارة يسعى بين الصفا والمروة, يتردد بين هذين المشعرين العظيمين اللذين كم تردد بينهما من رسول ونبي, وكم سعا بينهما من ولي لله وصفي

وتارة يقف بالمشعر الحلال, وهو عرفة.وتارة بالمشعر الحرام, وهو مزدلفة, يبدي ما في وسعه من خشية وخضوع وخشوع وإنابة وانجذاب تام إلى ربه, وشدة نزوع يتضرع فيها إلى مولاه, ويسأله مصالح دينه ودنياه, يقف فيها موقف السائل المسكين الذليل ويطمع غاية الطمع في كرم المولى الجليل.وتارة يثني على ربه ويسبحه ويهلله.وتارة يذكر من مِنَنَ مولاه ما أسبغه وحباه وجلله.وتارة يسأل ربه أن يصلح قلبه بالمحبة والإنابة والإخلاص والنصيحة, ويعيذه من مساوئ الأخلاق والأعمال القبيحة.وتارة يرمي الجمرات تنبيهاً إلى رمي الخطايا ومراغمة العدو المبين, ويقف عندها طالباً الرحمة والغفران من الملك الحق المبين.

فأفعال الحج وأقواله كلها أسرار وحكم المقصود منها القيام بالعبودية المتنوعة والإخلاص للمعبود فالحج مبناه على الحب والإخلاص والتوحيد والثناء والذكر.

سرور الشيخ بكثرة الأسئلة الواردة عليه وذكره لفوائدها:

أرسل عبدالرحمن المحمد المقوشي رسالة إلى الشيخ فيها مجموعة من الأسئلة كرر فيها اعتذارها من كثرة الأسئلة, فأجابه الشيخ برسالة له بتاريخ ٢٧ رمضان ١٣٥٨هـ قال فيها: أنا مسرور جداً بكثرة أسئلتكم, وممنون منها لأمور:

أولاً: ليس عندي أرغب من البحث في المسائل الدينية, والتعلم والتعليم مشافهه ومكاتبة. ثانياً: تعرف أن الاشتغال بذلك أفضل الأعمال الصالحة, خصوصاً في هذه الأوقات التي قلَّ فيها الراغب وكاد العلم أن يضمحل, وهو دعامة الدين وأصل الأمور كلها.ثالثاً: اعلم ن السؤال لمسائل العلم يقع من أحد اثنين:

إما مِن مَن وقعت له حادثة في دينه أو عبادته أو معاملته من عامي أو غيره, وليس له قصد إلا حلُّ ما نزل به, والإفادة عما يعمل به, أو عن ما عمله, هل وقع على الصحة والسداد, أم على ضد ذلك, فهذا إفتاؤه وإفادته من أفضل الأعمال الصالحة, وهي متعينة, ونتيجة ذلك أن يهتدي بحادثته, فقط بالهداية الشرعية, وليس ثم نتيجة فوق ذلك, ونعم النتيجة.

ولكن أكمل من ذلك وأعظم أن يقع السؤال من طالب علم مسترشد يريد الاستفادة بنفسه والنفع لغيره, فهذا جوابه وإفادته أعظم بكثير من الأول, وأكثر فائدة وثمرة, لأنه مع مشاركته الأول في المقصود الذي ذكرنا, يزيد عليه بأنه يتنور فيما أجيب به, ويهتدي بمسألته الخاصة, وينجر إلى غيرها, ويزيد أن قصده الفائدة والإفادة, وأن العلم الذي حصل له يسعى على بقائه في ذهنه, وفي إيصاله إلى من أراد الله تعالى نفعه من جهته.

وقال الشيخ في رسالة أرسلها إلى تلميذه محمد السليمان البصيري رحمهما الله بتاريخ ٢٩ جماد آخر ١٣٧٥هـ : وأعيد عليك أيها الأخ ما ذكرته لك سابقاً وهو أني ما أحب يصير بخاطرك أي سؤال يكون إلا تذكره, لأننا جميعاً مشتركون في الفائدة, وقال له في رسالة بتاريخ ١٦ شوال ١٣٧٥ هـ : أخي أكرر عليك إذا صار بخاطرك أي سؤال يكون, أن تبديه لمحبك فإن المصلحة مشتركة.

سرور الشيخ باعتناء طلابه بالبحوث والمسائل العلمية:

أرسل الشيخ رسالة لعبدالرحمن المحمد المقوشي رحمهما الله, بتاريخ ٦ شوال ١٣٥٨هـ قال فيها: سرني وصول كتابكم...تلوته مسروراً...باعتنائكم بالمسائل العلمية, والبحوث الدينية لا زال هذا دأبكم.

وقال في رسالة لصالح بن مرشد وسليمان رويشد رحم الله الجميع بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٦٦هـ :البحوث العلمية هي أفضل ما صرف له العبد وقته

عدم إفتاء الشيخ في المسائل التي يحصل فيها خصومات عند القضاة:

وأما سؤالكم عن المسألة الأخرى وهي عقد الشركة في....

فلا أرغب أفتي فيها, لا بإثبات أنها لازمة, ولا بنفي ذلك, لأن المسائل التي يحصل فيها خصومات عند القضاة كلها [ساد لباب] عن الفتوى فيها.

ثناء الشيخ على كتاب وظائف رمضان لابن رجب

أرسل الشيخ رسالة إلى تلميذه ناصر العبري رحمهما الله بتاريخ ٢٠ شوال ١٣٧٢هـ قال فيها: أما اقتراحكم جزاكم الله خيراً وظايف رمضان, فأرى وظايف رمضان لابن رجب فيها كفاية, ولا يمكن الإنسان يصنف أحسن منها.

قبول الشيخ للتنبيه والانتقاد وذكره لفوائد ذلك:

أرسل الشيخ رسالة لصالح بن مرشد وسليمان رويشد رحم الله الجميع بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٦٦هـ قال فيها: سررت ببحثكم عما ذكرنا في الإرشاد في باب الردة, في شأن الجهمية والخوارج ونحوهم, وأنه حصل نوع إشكال في عبارات الكتاب المذكور....ومطلوب جنابكم: الإفادة عما ذكرنا هناك.

إخواني: هذا هو الواجب: إذا وقعت الإشكالات وجب التناصح وحصول التفاهم, وذلك مصلحة للطرفين, لأن القصد الحقيقي للمؤمن الموفق طلب الحق واتباعه, لا نصر كلامه الذي لم يستند إلى أصل شرعي ولا كلام غيره, والكلام على ما ذكر إنما يتم بتوضيح كلامنا وتبيينه وبيان المراد منه, ثم نقل كلام الأصحاب وأهل العلم في تكفير الجمهمية....

المقصود يا إخواني نحن مستعدون وممنونون من التنبيه والانتقاد لما في ذلك من الفوائد والمصالح, فإن من فوائد ذلك:

أن هذا هو المشروع وهذه طريقة أهل العلم, وأما السكوت عن ما ترى فيه انتقاد أو تراه مشكلاً فليس من طريقة أهل العلم.

ومنها: أن فيه فتحاً لباب الفائدة في حق المنبِّه والمنتَبه, لأن المنبِّه إن كان خافياً عليه بين له أو مشتبهاً عليه وضح له, وكذلك المنبَّه فكم حصل للمعلمين والمؤلفين والكاتبين من المتعلمين والمنتقدين تنبيهات وإزالة إشكالات انتفعوا بها ونفعوا غيرهم

ومنها: أن التنبيه المذكور هو الواجب وهو الدين, لأن الدين النصيحة.

ومنها: أن في الانتقادات والاستشكالات والمعارضات تمرين النفس على البحوث النافعة, وتمرينها أيضاً مع ذلك على سرعة قبول الحق والانقياد له.

استعداد الشيخ عن الرجوع عن قوله متى ظهر دليل يخالفه:

قال الشيخ في رسالة أرسلها إلى بعض تلاميذه استشكلوا ما ذكره عن أحد كتبه عن تكفير الجهمية قال فيها: ومع ذلك فلو ظهر لي بعد هذا دليل وبرهان يجب المصير إليه, يخالف هذا الرأي, لرجوت الله تعالى أن يوفقني لاتباع ما ظهر برهانه, وهو الواجب عليَّ وعلى غيري.

أسباب الخير الديني والدنيوي:

الخير الديني والدنيوي له أبواب وأسباب, من وفق لدخولها وسلوكها أفضت به إلى كل خير, وأساسها أمران: إخلاص العمل لله في كل قول وعمل وفي كل حركة وسكون.والاجتهاد في الإحسان إلى الخلق بالعلم, والنصح, والجاه, والبدن, والمال, والتوجيه إلى مصالح الدين, وإلى مصالح الدنيا, فمن وفق للإخلاص والإحسان بحسب اجتهاده ومقدوره, فقد وفق لكل خير, وهانت عليه الطاعات, وسهلت عليه المشقات, واستحلى كل صعوبة تقربه إلى الله, وأصل ذلك توفيق الله واللجوء إليه, قال شعب صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَما تَوفيقي إِلّا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنيبُ ﴾ [هود:٨٨]

إعطاء الشيخ أحد تلاميذه أكثر ما طلب:

أرسل الشيخ رسالة إلى تلميذه ناصر بن باتل العبري رحمهما الله بتاريخ ٢٩ صفر ١٣٦٥هـ قال فيها: ما ذكرت من جهة تعينك لصلاة الجمعة..فبحول الله أنكم موفقين, ونرجو لك الإخلاص والتسديد والإعانة.

طلبت بمناسبة ذلك خطبتين أو ثلاث, فتجد طيه ست خطب مناسبة إن شاء الله للوقت الحاضر, ربنا يحسن القصد.

شكر الشيخ لأحد تلاميذه لتنبيه على غلط في مسألة امرأة المفقود:

أرسل الشيخ رسالة إلى تلميذه محمد السليمان البصيري رحمهما الله, قال فيها: أما المسألة الثانية المذكورة في (١٣) من أنواع الفرق في النكاح, وهي امرأة المفقود, وهو قوله: ثم قدم زوجها المفقود خيرت بين بقائها مع زوجها...الخ

الأمر كما ذكرتَ, وهو غلط فاحش, لا أدري هل هو مني سبقة قلم, أو من المطبعة, والصواب: خُيِّر زوجها الأول الذي قدم بين بقائها مع زوجها الثاني, ويأخذ المهر إلى آخره.

لازلتم موفقين, والعجيب أننا لا زلنا غير شاغرين بهذا الغلط, إلا من كتابكم جزآكم الله خيراً على هذا التنبيه

شجرة الإيمان:

الإيمان شجرة أصلها الاعتقادات السلفية, وأسّها وأصلها الإخلاص لرب البرية, وساقها الأخلاق الجميلة, والأعمال الصالحة, والأقوال السديدة.

القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن

* كل خير عاجل وآجل, فإنه من ثمرات التوحيد, وكل شرٍّ عاجل وآجل, فإنه من ثمرات ضده. والله أعلم

* القلب الصحيح: هو الذي عرف الحق واتبعه, وعرف الباطل وتركه.

* متى عرف العبد ما في الطاعات من صلاح القلوب, وزيادة الإيمان, واستكمال الفضائل, وما تثمره من الخيرات والكرامات, وما في المحرمات من الضرر والرذائل, وما توجبه من العقوبات المتنوعة, وعلم ما في أقدار الله من البركة, وما لمن قام بوظيفته فيها من الأجور, هان عليه الصبر على جميع ذلك

المختارات الجليلة من المسائل الفقهية

آداب طالب العلم:

يتعين على طالب العلم أن يسعي بجهده لتحصيل ما يحتاجه من الفهم, وتشتد إليه ضرورته, مبتدئاً بالأهم فالأهم, قاصداً بذلك وجه الله, يعتقد أن درسه ومدارسته, وبحثه ومباحثته, ونظره ومناظرته, وتعلمه وتعليمه, طريق يوصله إلى ربه, ويحتسب به ثوابه, ويخرج به نفسه وغيره من ظلمة الجهل إلى نور العلم, ومن تبعة الإعراض عن الواجب والمستحب إلى القيام بهما.

وأن يعلم أن العلم المشروع هو ميراث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, فليستكثر منه, لتتحقق الوراثة النبوية.

تصور مسائل الأحكام وإدراك ما بنيت عليه من الدليل والتعليل:

وأن يجتهد ويحرص في كل مسألة من مسائل الدين والأحكام على تصورها, وتحريرها وتفصيلها, وحدها, وتفسيرها, ثم يسعي في إدراك ما بنيت عليه من الدليل والتعليل الراجح لمعاني الكتاب والسنة وأصولهما.فإن العلم الحقيقي هو الجمع بين هذين الأمرين, والتحقق بهذين الأصلين بحسب القدرة والاستطاعة, فإذا فعل ذلك وقصد ترجيح ما قام عليه الدليل من الأقوال المختلفة, فقد وفق بسلوك طريق العلم الذي من سلكه سلكَ الله به طريقاً إلى الجنة, وكان سعيه مشكوراً, وخطأُه مغفوراً, وثوابه مضاعفاً, وأجره موفوراً.

علامات العلم النافع:

منن الله على العباد كثيرة, وأفضل ما منَّ الله على عبده به هو: العلم النافع وعلامة كون العلم نافعاً...أنه يزيل عن القلب شيئين, وهما: الشبهات, والشهوات.فالشبهات تورث الشك, والشهوات تورث درن القلب وقسوته, وتثبط البدن عن الطاعات.

وأن يجلب للعبد في مقابلتهما شيئين, وهما: اليقين الذي هو ضد الشكوك, والإيمان التام الموصل للعبد لكل مطلوب, المثمر للأعمال الصالحة, الذي هو ضد الشهوات فكلما ازداد الإنسان من العلم النافع, حصل له كمال اليقين, وكمال الإرادة, ولا تتم سعادة العبد إلا باجتماع هذين الأمرين, وبهما تنال الإمامة في الدين, قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

العلم شجرة تثمر كل قول حسن, وعمل صالح, والجهل شجرة تثمر كل قول وعمل خبيث, وإذا كان العلم بهذا المثابة فينبغي للإنسان أن يحرص كل الحرص, ويجتهد في تحصيله, وأن يديم الاستعانة بالله في تحصيله, ويبدأ بالأهم فالأهم منه.

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في الدنيا والآخرة:

من ترك شيئاً لله تهواه نفسه عوضه الله خيراً منه في الدنيا والآخرة, فمن ترك معاصي الله, ونفسه تشتهيها عوضه الله إيماناً في قلبه, وسعة, وانشراحاً, وبركة في رزقه, وصحة في بدنه, مع مَالَهُ من ثواب الله الذي لا يقدر على وصفه, والله المستعان.

-(٣٩)

الدين مبني على تحصيل المصالح ودفع المضار في الدين والدنيا والآخرة:

الدين مبني على المصالح في جلبها والدرء للقبائح

هذا الأصل العظيم, والقاعدة العامة يدخل فيها الدين كله, فكله مبنى على تحصيل المصالح في الدين والدنيا والآخرة, وعلى دفع المضار في الدين والدنيا والآخرة, فما أمر الله بشيء إلا وفيه من المصالح ما لا يحيط به الوصف, وما نهى عن شيء إلا وفيه من المفاسد ما لا يحيط به الوصف.

أعظم ما أمر الله به, وأعظم ما نهى عنه:

فمن أعظم ما أمر الله به التوحيد, الذي هو إفراد الله بالعبادة, وهو مشتمل على صلاح القلوب, وسعتها, ونورها, وانشراحها, وزوال أدرانها, وفيه مصالح البدن, والدنيا, والآخرة.

وأعظم ما نهى الله عنه الشرك في عبادته, الذي هو فساد ومضرة في القلوب والأبدان, والدنيا, والآخرة, فكل خير في الدنيا والآخرة, فهو من ثمرات التوحيد, وكل شر في الدنيا والآخرة فهو من ثمرات الشرك.

من فوائد العبادات:

ومما أمر الله به الصلاة, والزكاة, والصيام, والحج التي من فوائدها: انشراح الصدر ونوره, وزوال همومه وغمومه, ونشاط البدن وخفته, ونور الوجه, وسعة الرزق, والمحبة في قلوب المؤمنين, وفي الزكاة والصدقة ووجوه الإحسان: زكاة النفس, وتطهيرها, وزوال الوسخ والدرن عنها, ودفع حاجة أخيه المسلم وزيادة بركة ماله ونماؤه, مع ما في هذه الأعمال من عظيم ثواب الله الذي لا يمكن وصفه, ومن حصول رضاه الذي هو أكبر من كل شيءٍ, وزوال سخطه.

-(٤٠)

فوائد الاجتماع للعبادات:

وكذلك شرع لعباده الاجتماع للعبادة في مواضع, كالصلوات الخمس, والجمعة, والأعياد, ومشاعر الحج, والاجتماع لذكر الله, والعلم النافع, لما في الاجتماع من الاختلاط الذي يوجب التوادد والتواصل, وزوال التقاطع, والأحقاد بينهم, ومراغمة الشيطان الذي يكره اجتماعهم على الخير, وحصول التنافس في الخيرات, واقتداء بعضهم ببعض, وتعليم بعضهم بعضاً, وتعلم بعضهم من بعض, وكذلك حصول الأجر الكثير الذي لا يحصل بالانفراد, إلى غير ذلك من الحكم.

القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة

أنواع العلوم الشريعة:

العلوم الشرعية نوعان: مقاصد, وهي علم الكتاب والسنة.

ووسائل إليها, مثل: علوم العربية بأنواعها, فإن معرفة الكتاب والسنة وعلومهما تتوقف أو يتوقف أكثرها على معرفة علوم العربية, ولا تتم معرفتهما إلا بها, فيكون الاشتغال بعلوم العربية لهذا الغرض تابع للعلوم الشرعية.

من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه:

من تعجل شهواته المحرمة في الدنيا عوقب بحرمانها في الآخرة ما لم يتب قبل موته. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠]

الإخلاص في طلب العلم وتعليمه:

يتعين على أهل العلم من المعلمين والمتعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم, الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله بهذه العبادة, التي هي أجل العبادات وأكملها وأنفعها وأعمها, ويتفقدوا هذا الأصل الجليل في كل دقيق من أمرهم وجليل.

والحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين...فإن التعصب مُذهب للإخلاص مزيل لبهجة العلم, مُعمٍ للحقائق, فاتح لأبواب الخصام والحقد. كما أن الإنصاف هو زينة العلم, وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح

العمل بما يدعو إليه العلم:

من أعظم ما يتعين على أهل العلم الاتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال...فهم أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة والتخلي من كل خلق رذيل, وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة وترك المحرمات.

وكان السلف يستعينون بالعلم على العمل, فإن عمل به استقر ودام ونمى وكثرت بركته, وإن ترك العمل به ذهب أو عدمت بركته, فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به عملاً وتخلقاً وتعليماً ونصحاً.

فمن آداب العالم والمتعلم النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان, حتى لو تعلم الإنسان مسألة وبثها كان ذلك من بركة العلم, ولأن ثمرات العلم أن يأخذه الناس عنك, فمن شح بعلمه مات علمه بموته, وربما نسيه وهو حي, كما أن من بث علمه كان له حياة ثانية وحفظاً لما علمه وجازاه الله بحسب عمله.

-(٤٢)

الحذر من المعاصي:

والمعصية من أهل العلم أعظم من غيرهم, لأن الحجة عليهم أقوم, ولأن غيرهم يقتدي بهم...و..الاشتغال بالناس يضيع المصالح النافعة والوقت النفيس, ويذهب بهجة العلم ونوره.

القناعة باليسير من الرزق:

اعلم أن القناعة باليسير من الرزق والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد, لا سيما المشتغلون بالعلم, فإنه كالمتعين عليهم, لأن العلم وظيفة العمر كله أو معظمه, فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بسبب ذلك

آداب المُعلِّم:

وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله, فإن هذا من عدم النصح, فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان

وعلى المعلم النصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم إدراكه, وعلى عدم أدبه وجفائه, مع شدة حرصه على ما يقومه ويحسن أدبه, لأن المتعلم له حق على المعلم, حيث أقبل على العلم الذي ينفعه وينفع الناس,...فهو الولد الحقيقي للمعلم الوارث له, قال تعالى: ﴿فهَب لي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقوبَ ﴾ [مريم_٥-٦]

والمراد وراثة العلم والحكمة, فالمعلم مثاب مأجور على نفس تعليمه, سواء فهم أو لم يفهم, فإذا فهم ما علمه وانتفع بنفسه ونفع غيره كان أجره جارياً للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلاً متصلاً, وهذه تجارة بمثلها يتنافس الموفقون.

وليرغب المتعلم بكل طريق ولا يُمَلَّه باشتغاله بما يعسر على فهمه من أنواع العلوم ومفرداتها

وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلماً وتعليماً فإذا شرع المعلم في مسألة وضحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من التعبير وضرب الأمثال والتصوير والتحرير, ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تحققها وتفهيمها للمتعلمين, ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتم تقريره إلى موضوع آخر حتى يُحكِموه ويفهموه, فإن الخروج من الموضوع إلى غيره قبل الانتهاء منه يشوش الذهن ويحرم الفائدة ويخلط المسائل بعضها ببعض.

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان والحث على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس.

ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه: الله ورسوله أعلم. وليس هذا بناقص لأقدارهم, بل هذا مما يزيد قدرهم, ويستدل به على دينهم وتحريهم للصواب.

وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة.

منها: أن هذا هو الواجب عليه.

ومنها: أنه إذا توقف وقال: لا أعلم, فما أسرع ما يأتيه علم, ذلك إما من مراجعته أو مراجعة غيره.

ومنها: أنه إذا توقف عما لا يعرف كان دليلاً على ثقته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل, كما أن من عرف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم كان ذلك داعياً للريب في كل ما يتكلم به, حتى في الأمور الواضحة.

آداب المُتعلَّم:

ويتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية وما يعين عليها من علوم العربية...وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المطلوب الذي قصده, وأن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدة.

وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ويتأدب معه حسب ما يقدر عليه لما له من الحق...وإذا كان من أحسن إلى الإنسان بهدية مالية ينتفع بها, ثم تذهب وتزول, له حق كبير على المحسن إليه, فما الظن بهدايا العلم النافع الكثيرة المتنوعة, الباقي نفعها ما دام العبد حياً وبعد مماته.ولا يخرج عن إشارته وإرشاده وليجلس بين يديه متأدباً ويظهر غاية حاجته إلى علمه, ويدعو له حاضراً غائباً.

وإذا أتحفه بفائدة وتوضيح لعلم فلا يظهر له أنه قد عرفه قبل ذلك وإن كان عارفاً له, بل يصغي إليه إصغاء المتطلب بشدة إلى الفائدة, هذا فيما يعرفه فكيف بما لا يعرفه؟

وإذا أخطأ المعلم في شيء فلينبهه برفق ولطف بحسب المقام, ولا يقول له أخطأت أو ليس الأمر كما تقول, بل يأتي بعبارة لطيفة يدرك بها المعلم خطأه من دون أن يتشوش قلبه..فإن الرد الذي يصحبه سوء الأدب وانزعاج القلب يمنع من تصور الصواب ومن قصده.

وليحذر من طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة, من المباهاة والمماراة والرياء والسمعة...فليست هذه حال أهل العلم الذين هم أهله في الحقيقة, ومن طلب العلم واستعمله في أغراضه السيئة أو رياء أو سمعة فليس له في الآخرة من خلاق.

الفرج مع الكرب, والشدة لا تدوم:

الله تعالى قدر من ألطافه وعوائده الجميلة أن الفرج مع الكرب, وأن مع اليُسر مع العسر, وأن الضرورة لا تدوم فإن حصل مع ذلك قوة التجاء وشدّة طمع بفضل الله ورجاء وتضرع كثير ودعاء, فتح الله عليهم من خزائن جوده ما لا يخطر بالبال

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينته وقوته وشجاعته لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وأنه يسلي العبد على المصائب ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزقه الله.قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلم.

ومن فوائده أنه يوجب للعبد شهود منّة الله عليه فيما يمنُّ به عليه من فعل الخيرات وأنواع الطاعات, ولا يُعجبُ بنفسه ولا يُدلُّ بِعلمه لعلمه أنه تعالى هو الذي يتفضل عليه بالتوفيق والإعانة وصرف الموانع والعوائق, وأنه لو وكِلَ إلى نفسه لضعف وعَجَزَ من العمل.

كما أنه سبب لشكر نعم الله مما يُنعمُ عليه من نعم الدين والدنيا, فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة.

فتنة الدجال

فتنة المسيح الدجال نوعان:

نوع يراد به الشخص الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم.ونوع يراد به جنس الفتنة.

ووجه الحاجة إلى القسم الأول من هذين النوعين: أن نفس الاستعاذة بالله من فتنته عبادة وتضرع والتجاء إلى الله, وذلك خير محض.ثم كون ذلك الشخص مجهولاً زمان مجيئه, كل مؤمن لا يأمن على نفسه إدراك ذلك الزمان.والأمر الذي تحت الإمكان, ويخشى من شره وفتنته, معلوم حاجة العبد إلى توقي فتنته بكل سبب, ومن أكبر الأسباب الالتجاء إلى الله, والتعوذ بالله منه, وأيضاً فهذا الدعاء والخوف من فتنته لا بد أن يسري في طبقات الأمة ويتوارثوه, ويصير عقيدة راسخة, حتى إذا جاء وتحقق وقوعه, كان عند الأمة, وخصوصاً لخواصهم من العقائد الصحيحة ما يدفع شره, ويقي فتنته, بخلاف ما لو زال خوفه من القلوب, فإنه إذا جاء ذلك الوقت ازدادت به الفتنة, ولم يكن عند المؤمنين من مواد الإيمان ما يبطل فتنته وشره.

وأما القسم الثاني: فالحاجة إليه أظهر, فإن جنس فتنة المسيح الدجال هو: كل باطل زُوِّق وبُهرج, وحسِّن فيه الباطل, وقبِّح فيه الحق, وأيد بالشبه التي تغر ضعفاء العقول, وتخدع غير المتبصرين, وهذا موجود وشائع, بل بحره طام في كل زمان ومكان, فالعبد مضطر غاية الاضطرار إلى ربه في أن يدفع عنه هذه الفتن التي هي من جنس فتنة المسيح الدجال, فتن الشبهات والشكوك, وفتن الشهوات المردية.

(٤٧)ـ

يأجوج ومأجوج

إعداد القوة للعدو يدخل فيه كل شيءٍ:

قوله تعالى: ﴿ وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قُوةٍ ﴾ هذا أمر إيجاب, وأمر استحباب بحسب الأحوال, فأمر المؤمنين أن يعدوا لأعدائهم كل ما يستطيعونه من قوة عقلية, وسياسية, ورأي وسلاح, ومخترعات, وحصون مانعة, وأسلحة فتاكة, فمن ظن بجهله أنه لا يدخل فيها إلا الضرب بالسيف, ورمي النشاب, وركوب الخيل, وطعن الرمح, وأن الأسلحة الوحيدة في هذه الأوقات لا تدخل في هذا الأمر, فقل له بحسب إدراكه: أرأيت لو وقع حادث خطير في طرف مملكة من الممالك الإسلامية, فهل لسرعه تلافيه غير الاستعانة بالمواصلات البرقية, والسيارات, والطيارات, وما يستطاع من أنواع الأسلحة.

الدرة البهية شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية

كل من ترك الأمور النافعة ابتلي بالأمور الضارة, وكل من زهد بالحق وقع في الباطل, وهذا مطرد في كل زمان ومكان وكل أمة.

فوائد المشاورة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨]

المشاورة من أعظم الأصول والسياسات الدينية, وفيها من الفوائد:

امتثال أمر الله, وسلوك الطريق التي يحبها الله حيث نعت المؤمنين بها.

وفيها الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه مع كمال عقله ورأيه وتأييده بالوحي كان يشاور أصحابه في الأمور المهمة.

ومن فوائدها: أنها من أكبر الأسباب لإصابة الصواب, وسلوك الوسائل النافعة لاجتماع آراء الأمة وأفكارها وتنقيحها وتصفيتها.مع أن الله يعينهم في هذه الحال التي فعلوا فيها ما أمرهم به ويسددهم ويؤيدهم.

ومنها: أن المشاورة تتنور فيها الأفكار, وتترقى المعارض والعقول, فإنها تمرين للقوة العقلية وتربية لها وتلقيح للأذهان واقتباس لبعضهم من آراء بعض

ومنها: أنه قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو أكثر, وإذا تقابل الصواب والخطأ ووزنتها العقول السليمة بالموازين العقلية التي لا تركن إلا إلى الحقائق الصحيحة ظهر الفرق بين الأمرين, ولا سبيل لذلك إلا بالمشاورة.

ومنها: أن المشاورة من أسباب الألفة والمحبة بين المؤمنين, وشعور جميعهم أن مصالحهم واحدة مشتركة, وتنبيه للأفكار والآراء على النافع والأنفع.

التوكل:

التوكل الذي لا يصحبه جد واجتهاد ليس بتوكل, وإنما هو إخلاد إلى الكسل وتقاعد عن الأمور النافعة, كما أن العمل بالأسباب من دون اعتماد وتوكل على مسببها واستعانة به, مآله الخسار والزهو والإعجاب بالنفس والخذلان. فالجمع بين التوكل على الله وبين الاجتهاد في فعل الأسباب هو الذي حثَّ عليه الدين, وهو الذي كان عليه سيد المرسلين, وبهما يتحقق الإيمان, وتقوى دعائم الدين, وبهما تقوى معنوية المسلمين, حيث اعتمدوا على رب العباد, وأدّوا ما في مقدروهم من جد واجتهاد.

أنواع الجهاد:

الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدينية والدنيوية, وفي تربيتهم العلمية والعملية, وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه, وعليه يتأسس النوع, وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين, من الكفار والمنافقين والملحدين, وجميع أعداء الدين ومقاومتهم, وهذا نوعان:

جهاد بالحجة والبرهان واللسان.وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان.

السياسية الدولية:

السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستبعاد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستبعاد, فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير, ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التي ترمي إليها نفعه عظيم, وفيه دفع للشر أو تخفيفه, وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر.

ـ(٥٠)

إصلاح التعليم:

من أعظم أركان التربية العامة النافعة إصلاح التعليم, والاعتناء بالمدارس العلمية, وأن يختار لها الأكفاء من المعلمين والأستاذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة قبل ما يتلقون من معلوماتهم العالية, ويختار لها من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية والدنيوية المؤيدة للدين, وأن تكون العلوم الدينية هي الأصل والأساس الأقوم, ويكون غيرها تبعاً لها ووسيلة إليها, وأن يكون الغرض الوحيد من المتخرجين في المدارس الناجحين في علومها أن يكونوا صالحين في أنفسهم وأخلاقهم وآدابهم مصلحين لغيرهم, راشدين مرشدين, مهتمين بتربية الأمة.

فإن كثيراً من المدارس الآن التعليم فيها قصر جداً, لا يعتني فيه بأخلاق التلاميذ, ويكون تعليم الدين فيها ضعيفاً, ويكون الغرض منها المادة, وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة, وهذا ضرره كبير, وسبب للضعف والانحلال, ولا ريب أن السعي في إصلاح التعليم من أهم المهمات, وبه ترتفع الأمة وتنتفع بعلمائها وعلومهم, فالتعاليم النافعة, والتربية الصالحة, تقود المسلمين إلى كل خير وفلاح, وتكون العلوم مقصوداً بها الصلاح والإصلاح.

(٤١)-

القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن

من فوائد العبادات:

ما ذكره الله في كتابه من الأعمال كلها, كالجهاد, والصلاة, والصوم, والحج, وبقية الأعمال, والإحسان إلى الخلق, فإنها وإن كان المقصود الأعظم منها نيل رضى الله, وقربه, وثوابه, والإحسان إلى عبيده, فإن فيها صحة للأبدان, وتمريناً لها, ورياضة, وراحة للنفس, وفرحاً للقلب, وأسرار خاصة تحفظ الصحة, وتنميها, وتزيل عنها المؤذيات, وبالجملة فإن جميع الشرائع ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح, والأخلاق, والأبدان, والأموال, والدنيا والآخرة, والله أعلم.

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع كثيرة:

فمنها: ما ذكر الله عن المهاجرين الأولين الذين هجروا أوطانهم وأموالهم وأحبابهم لله فعوضهم الله الرزق الواسع في الدنيا, والعز والتمكين, وإبراهيم صلى الله عليه وسلم لما اعتزل قومه وأباه, وما يدعون من دون الله وهب له إسحاق ويعقوب, والذرية الصالحة, وسليمان صلى الله عليه وسلم لما ألهته الخيل عن ذكر ربه فأتلفها عوضه الله: ﴿ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ [ص:٣٦] ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧] وأهل الكهف لما اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله وهب لهم من رحمته, وهيأ لهم أسباب التوفيق والراحة, وجعلهم هداية للضالين. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩١] ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى عوضه من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق جميع لذات الدنيا.

-(٥٢)

الحرية النافعة:

الحرية النافعة التي معناها التكلم بالحق, وفي الأمور التي لا محذور فيها, كما أن الحدود والعقوبات, والنهي عن الكلام القبيح, والفعل القبيح, فيها رد الحرية الباطلة, فإن ميزان الحرية الصحيحة النافعة: هو ما أرشد إليه القرآن, وأما إطلاق عنان الجهل والظلم, والأقوال الضارة للمجتمع, المحلِّلة للأخلاق, فإنها من أكبر أسباب الشر والفساد, وانحلال الأمور, والفوضوية المحضة, فنتائج الحرية الصحيحة أحسن النتائج ونتائج الحرية الفاسدة أقبح النتائج, فالشارع فتح الباب للأولى, وأغلقه عن الثانية, تحصيلاً للمصالح, ودفعاً للمضار والمفاسد. والله أعلم.

ثم إن هذا الكاذب موّه على الناس, وزعم أن الذي أوصل هؤلاء المتفننين في العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين, وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية, فضلاً عن المصالح الدينية, وإنما الذي أوصلهم إلى الترقي في هذه الفنون, جدّهم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار في تعلمها وإدراكها وتفريغها وترقيتها, وقد تقدم لك أن الدين الإسلامي, يحثّ على تعلم كل نافع منها, ويأمر بكل علم يعين الأمة على مقاومة الأمم ويوصلها إلى مصالحها, فمن استدل بتفوق الأجانب في علوم المادة على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم, فهو من أجهل الخلق, وأبعدهم عن المعارف بالكلية, أو مغرر مموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق.

لا ينفع صلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب:

المسلمون...أصبر الخلق على المصيبات, وأعظمهم سعياً في جميع الأسباب النافعات, وليسوا كمن صرف جميع همته في السلامة من الأمراض البدنية والفقر, ولا يبالي بدفع الأمراض الروحية التي هي أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاءً,وهي أمراض القلوب, ولا في دفع الفقر الحقيقي وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات, فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب؟ وهل يفيد إصلاح الدنيا فقط مع تخريب الآخرة؟ فالمسلمون بالمعنى الحقيقي يقومون بعبودية الله التي خلقوا لأجلها, ويستعينون بما في هذه الدنيا على هذا المطلوب..فهم أطيب الخلق نفوساً وأغناهم قلوباً وأشكرهم لله عند النعم والمحبوبات وأصبرهم عند البلايا والمكروهات (٥٤)ـ

روح الصلاة وكمالها بحضور القلب:

روح الصلاة وكمالها بحضور القلب, وأن يجتهد في تدبر ما يقوله من قراءة وذكر وتسبيح ودعاء, وتدبر ما يفعله من خضوعه لله في ركوعه وسجوده, ويستحضر أنه واقف بين يدي الله يناجيه ويتعبد له, ويحقق مقام الإحسان: أن يعبد الله كأنه يره, فإن لم يقو على ذلك استحضر أن الله يراه.

ويجاهد قلبه عن ذهابه في الأفكار والوساوس التي لا تفيده إلا نقصان صلاته, والله أعلم.

احتساب الزوجة في طاعة الزوج وخدمته:

وينبغي أن تحتسب الأجر عند الله في طاعة الزوج, وخدمته, وإدخال السرور عليه, وخصوصاً إذا كَبِرَ, أو مرض, مع ما لها من الخير العاجل في ذلك, قال الله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:٣٤]

التواضع عند الاجتماع بالناس ومجالستهم وإفادتهم بما ينفهم:

إذا جالست الناس, واجتمعت بهم, فاجعل التواضع شعارك, وتقوى الله دِثارك, والنصح للعباد طريقك المستمر.

فاحرص على أن كل مجلس جلست معهم فيه يحتوي على خير, إما بحث علمي, أو نصح ديني, أو توجيه إلى مصلحة عامة أو خاصة, أو تذكير بنعم الله, أو تذكير بفضائل الأخلاق الحميدة, والآداب الحسنة, أو تحذير من شر ديني أو دنيوي, وأقل ذلك أن تغتنم إشغالهم بالمباحات عن المحرمات. وحسّن خُلقك مع الصغير والكبير والنظير, وعامل كلاً منهم بما يليق به.

ـ(٥٥)

البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله

قيل لبعضهم: بأي شيء يُعرفُ الله؟ فقال: بانتظام الأسباب على وتيرة واحدة, ثم بتحويله لبعضها ومنع سببيته, وبإيجاده أشياء بغير أسباب تعرف.

وهذا صحيح, فإنه تعالى أجرى الأمور على أسبابها ومسبباتها قدراً وشرعاً, لُيعرف بذلك حكمتهُ البالغة, ولينشط العاملون على أعمالهم التي ربطها الله بمسبباتها, وأجراها على سنته, ثم إنه مع ذلك منع بعض الأسباب عن ترتب آثارها عليها, كما في معجزات الأنبياء الخارقة للعادة, وكرامات الأولياء.

وكذلك يوجد كثيراً من الأشياء بغير الأسباب المعهودة, كما أوجد عيسى من أمٍّ بلا أب, ويحيى بين أبوين لا يولد لمثلهما

وقيل لآخر: بم يُعرف الله؟ فقال: بمداولته الأيام بين العباد في العزِّ والذلِّ, والغنى والفقر, بأسباب وبغير أسباب,

قيل لبعضهم: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم والهمم.

ومعنى ذلك: أن العبد يعزم في كثير من أموره عزماً جازماً مصمماً لا تردد فيه, ثم بعد ذلك تنتقض همته وينحل عزمه إلى تركه, وإلى أمر آخر يرى فيه مصلحته.وما ذلك إلا لأن الله على كل شي قدير, يصرف القلوب كما يدبرُ الأبدان, وقد يصرفه عن بعض ما يعزم عليه لطفاً به, وإبقاءً على إيمانه ودينه, فيتلطف به من حيث لا يشعر, فنسأله اللطف في الأمور كلها, والتيسير لليسرى.

وقيل لبعضهم: بم عرفت الله؟ فقال: قد رأينا ورأى الناس في الدنيا مصارع البغاة المجرمين وعواقبهم الوخيمة, كما رأينا ورأوا في المحسنين عواقبهم الحميدة, فعجَّل للعباد نموذجاً من الثواب والعقاب, ليعرفوه, ويخضعوا له وحده, ويعبدوه وحده.

وقيل لبعض العارفين: بأي شيء يعرف الله؟ فقال: بذوق حلاوة الطاعات, وتجرع مرارة المخالفات

وهذا استدلال برهاني وجداني, لمن وفق لهذه الحال, يضطر العبد إلى كمال الإيمان وزيادة اليقين, فإن من وجد حلاوة الطاعات والإيمان, وذاق لذة اليقين, وتألم إذا غلبته النفس الأمارة بالسوء على اقتحام بعض المعاصي, اضطره الأمر إلى معرفة الله ووحدانيته.

الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف

الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن:

قال صلى الله عليه وسلم: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) فأخبر أن الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن....وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم النهي عن الخروج على ولاة الأمر والسمع والطاعة لهم, وإن ظلموا وعصوا, وما ذاك إلا لما في الخروج عليهم من الشر العظيم

وقد أمر الله ورسوله باجتماع المسلمين في كثير من العبادات كالحج والأعياد والجمعة والجماعات لما في اجتماعهم من التوادد والتواصل وعدم التقاطع

محاسن الإسلام

الإسلام...ما من صلاح تسرب إلى أمة من الأمم إلا أوصله ومنبعه هذا الدين القويم, وإذا أردت أن تعرف مقداره فزنه بالميزان الصحيح والعقل الرجيح بكل دين خالفه, تجد أن لا نسبة بينها وبينه بوجه من الوجوه.

أصول العقائد الدينية

تفاوت الناس في التوحيد:

الناس في التوحيد على درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة الله, والقيام بعبوديته, فأكملهم في هذا الباب من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه, ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة, وفهمها فهماً صحيحاً, فامتلأ قلبه من معرفة الله, وتعظيمه, وإجلاله, ومحبته, والإنابة إليه, وانجذب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى, متوجهاً إليه وحده لا شريك له.

ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام, الذي لا يشوبه شيء من الأغراض الفاسدة, فاطمأن إلى الله تعالى معرفةً, وإنابةً, وفعلاً, وتركاً, وتكميلاً لنفسه, وتكميلاً لغيره, بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم, فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك.

الدين الصحيح يحل جميع المشاكل

قوة الإيمان والتوكل والاعتماد على الله يهون المصائب والأمراض:

الشريعة الإسلامية...أمرت...بقوة الاعتماد على الله عند نزول المصائب والمكاره, وأن لا يخضع الإنسان ويضعف قلبه وإرادته, وتستولي عليه الخيالات, التي هي أمرض فتاكة, فكم من مريض يسير بسيط عظمت وطأته بسبب ضعف القلب وخوره وانخداعه بالأوهام والخيالات, وكم من مرض عظيم هانت مشقته وسهلت وطأته حين اعتمد القلب على الله, وقوى إيمانه وتوكله, وزال الخوف منه, وهذا أمر مشاهد محسوس

الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي

الحدود الشرعية كفيلة بردع المجرمين وتقليل الجريمة:

من زعم أن شيئاً من الأدلة العقلية التي يسميها العقلاء تخالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو مغتر وليأت بمثال واحد ولن يستطيع ذلك, نعم قد يأتي بنظريات وخيالات إذا حققت عقلاً وجدت جهليات وضلالاً مبيناً, مثل قول كثير من الملحدين: إن العقوبات والحدود التي جاء بها دين الإسلام غير لائقة ولا مناسبة للقوانين, والأحسن عندهم أن يستبدل بها الحبس والغرامة المالية.

وهذا سفسطة ومكابرة للواقع, فإن القوانين التي يسنها الملحدون ومن قلدهم على الجرائم لم تغن شيئاً, وظهر نقصها وفشلها العظيم, وأنه لا أثر لها في ردع المجرمين, وأن السبب الوحيد لردع كل مجرد تطبيق الحدود الشرعية والعقوبات الدينية فهي الكفيلة بردع المجرمين, وهي عقوبات ونكال وموعظة لو طبقت في قطر من الأقطار لصلحت أحوالهم وقلَّ الجناة والمجرمون, وحصل الأمن على الدماء والأموال والأعراض, لأنها تشريع من حكيم بأحوال العباد وما يصلحهم ويقيهم الشرور.

الحريات إذا لم تقيد بالقيود الشرعية أدت إلى انحلال أخلاق الناس وعقائدهم

ومثل قول كثير من الماديين الملحدين ومن قلدهم تقليداً أعمى: أنه يجب أن تكون الأفكار حرة وأن لكل أحد حريته في الرأي الذي يرتئيه والاقتراح الذي يبديه على أي حال يكون.وهذا قد ظهر أيضاً ضرره العظيم, وإن حرية الأفكار وإعطاء كل أحد حريته فيها قد تبين أنها السبب في الفوضوية وأنها أعظم من حرية الأفعال بل أصلها, فإنه متى أعطي الناس حريتهم فيها انحلت أخلاقهم وعقائدهم...وهذا هو الواقع في كل قطر أطلقت فيه الحريات ولم تقيد بالقيود الشرعية العقلية.

أخذ الحذر من الأعداء بجميع الوسائل

قال تعالى: (وخذوا حذركم) فهذا يتناول الأمر بإعداد المستطاع من القوة العقلية والسياسية والمادية والمعنوية, وأخذ الحذر من الأعداء بكل وسيلة وبكل طريق, فجميع الصناعات الدقيقة والجليلة والمخترعات والأسلحة والتحصنات داخلة في هذا العموم

الثقافة الصحيحة والتهذيب النافع هو ما جاء به الدين الإسلامي

ومما يروج به المنحرفون باطلهم لهجهم الشديد بالثقافة العصرية زاعمين أن الأخلاق لا تتهذب ولا تتعدل إلا بها, ويطنبون في مدحها ومدح المثقفين فيها وفي ذم من لم تكن له هذه الثقافة والسخرية بهم, وهم يفسرونها تفاسير متباينة منحرفة, كل يتكلم بما يخطر له, لأن العلوم إذا كانت فوضى والأخلاق تتبعها هكذا يكون أهلها لا يتفقون في آرائهم ونظرياتهم على شيء.

والثقافة الصحيحة والتهذيب النافع هو ما جاء به الدين الإسلامي الذي هذب العقائد عن الشرك والوثنيات, وهذب الأخلاق عن كل خلق رذيل, وهذب الأعمال والآداب حتى استقامت بها الأمور وصلحت بها الأحوال, وجمعت بين الدين والدنيا, وبين تقويم المعنويات النافعة والماديات المعنية عليها.

وذلك أن المشاهدة شاهدة بما ذكرنا, فإن العلوم العصرية والمخترعات مع توسعها وتبحرها حيث كانت خالية من الدين, عجزت كل العجز عن إصلاح الأخلاق واكتسابها للفضائل الصحيحة, وعن ترفعها عن الرذائل, وإنما الذي يتكفل بهذا الإصلاح ويتولى هذا التهذيب النافع ويوجه إلى كل خير ويزجر عن كل شر هو دين الإسلام, فإنه مصلح للظاهر والباطن, لأمور الدين والدنيا.

العلم الكفيل بكل خير ديني ودنيوي وأخروي ما جاء به الكتاب والسنة:

يقول كثير من الناس: هذا وقت العلم والمعارف والرقي, ومقصودهم بهذا الإعراض عن الماضي وعن علوم الدين والتزهيد فيها, وقد صدقوا من جهة وكذبوا من جهات أخر.

قد صدقوا أنه وقت ترقت فيه علوم الصناعات والمخترعات وما يرجع إلى الماديات والطبيعيات, وقد كذبوا أفظع الكذب حيث حصروا العلم بهذا النوع ولم يعلموا أن العلم الحقيقي النافع بما جاء به الكتاب والسنة الكفيل بكل خير ديني ودنيوي وأخروي.

والعلم النافع من علوم الصناعات والمخترعات داخل في ضمن هذا, بل العلم الديني هو الذي يصير العلوم الطبيعية والصناعية نافعة نفعاً صحيحاً, وهو الذي يوجهها إلى نفع العلوم الإنساني ويمنعها من التهور المهلك, ولهذا نقول وقد كذبوا أيضاً من جهة أن هذه العلوم التي افتخروا بها لم يوجهوها التوجيه النافع, بل استعملوها فيما يضر الخلق في الإهلاك والإفناء والتدمير, فهي من أعظم النعم ولكنها باستعمالهم إياها كانت من أكبر النكبات والنقم.

وقد صدقوا أنه زمان ترقي الماديات الجافة, وقد كذبوا في إطلاقهم الترقي, فيظن الظان أنه ترق في كل شيء, إنما ترق في الصناعات والمخترعات لا في الأخلاق الفاضلة والديانات, فلا ينفع الترقي في الماديات إذا هبطت الأخلاق التي عليها المدار في كل شيء, وهي التي تصلح الأشياء ولا تصلح الأمور بدونها كما هو مشاهد محسوس, فأي ترقي صيَّر أهله بمنزلة السباع الضارية, دأبها الظلم والفتك والاستعمار للأمم الضعيفة وسلبها حقوقها؟

فالترقي الصحيح الذي هو من آثار الدين, من آثاره: العدل, والرحمة, والوفاء بالحقوق, والحث على كل خير, والتحذير من كل شر, هذا هو الترقي الذي لم يشموا له رائحة ولا خطر بقلوبهم, وكيف يخطر بقلوبهم وقلوبهم ملأى بالهلع, والجشع, والزهو, والكبر, والغرور, ومن كل خلق رذيل.

وقد كذبوا أيضاً في زعمهم أن العلوم العصرية والفنون الاختراعية النافعة هم الذين ابتدؤها, وأن الشريعة الإسلامية لم تهد إليها ولم ترشد إلى أصولها. وهذا بهت عظيم ومكابرة يعرفها من له أدنى نظر في الدين الإسلامي, وكيف أصَّل للعباد أصولاً عظيمة نافعة بها صلاح دنياهم, كما أصَّل لهم أصولاً نافعة فيها صلاح دينهم.

فنسأل الله أن يرزقنا العلم الصحيح المؤيد بالعقل والنقل والفطرة, وهو العلم النافع الذي يعرفه العبد من جميع نواحيه, وهو العلم الذي يربط الفروع بأصولها ويرد الأسباب وآثارها ونتائجها إلى مسببها, وإلى الذي جعلها كذلك, وهو العلم الذي لا ينقطع صاحبه بالمخلوق عن خالقه, وبالآثار عن مؤثرها, بالحكم والأسرار والنظامات العجيبة عن محكمها ومنظمها ومبدعها.

هذا العلم هو الذي يثمر اليقين وتحصل به الطمأنينة وتتم به السعادة والفلاح ويثمر الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة المُصلحة للدين والدنيا.

الرياض الناضرة

من أسباب زوال الهموم والغموم

تعلق القلب بالله وحده, واللهج بذكره, والقناعة, أسباب لزوال الهموم والغموم, وانشراح الصدر, والحياة الطيبة, والضد بالضد, فلا أضيق صدراً, ولا أكثر هماً ممن تعلق قلبه بغير الله, ونسي ذكر الله, ولم يقنع بما آتاه الله, والتجربة أكبر شاهد

ضعف اليقين في قلوب كثيرٍ من المؤمنين:

ما أضعف اليقين في قلوب كثيرٍ من المؤمنين! تجدهم الآن قد استولى عليهم اليأس, وظنوا أن أمر الإفرنج الغربيين الآن سيظهر وسيدوم, وأن أهل الإيمان لا قيام لهم, وأنهم لا بد مغلوبون وأعداؤهم لا بد غالبون, وسبب هذا: نظرهم إلى الأسباب المدركة بالحس, وقصروا النظر عليها, ولم يقع في قلوبهم أن وراء الأسباب المشاهدة أسبابً غيبية أقوى منها! وأموراً إلهية لا تعارض ولا تمانع, وآفات تطرأ, وقواتٍ تزول, وضعفاً يزول, وأموراً لا تدخل تحت الحساب, فهؤلاء أهل الكتاب, ذو القوة والشوكة, قد غرتهم أنفسهم, وظنوا أن حصونهم مانعتهم وأنهم يمتنعون فيها, ولم يخطر في قلوب المؤمنين خروجهم منها حتى جاءهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون, واستولى عليهم الضعف والخراب من حيث لا يشعرون, وللكافرين أمثالها, فالمؤمن حقاً هو الذي ينظر إلى قدر الله وقضائه, وما له من العزة والقدرة, ويعلم أن هذا لا تعارضه الأسبابُ وإن عظمت, وأن نمو الأسباب ونتاجها متحقق إذا لم يعارضه القدر, فإذا جاء القدر اضمحل عنده كل شيء, ولكن الأسباب محل حكمة الله وأمره, فأمر المؤمنين بالاستعداد لعدوهم ظاهراً وباطناً, فإذا فعلوا المأمور ساعدهم المقدور.

-(٦٣)

التجارات نوعان:

أحدهما: تجارة ربحها الجنات.وهي تجارة الإيمان والجهاد في سبيل الله, قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ.﴾إلى آخر الآيات [الصف:١٠-١١] فهؤلاء هم الرابحون حقاً, وهم الذين تحققوا بالإيمان ظاهراً وباطناً فاجتهدوا في علوم الإيمان..في أعماله الباطنة كمحبة الله ورسوله وخشية الله وخوفه ورجائه, وفي أعماله الظاهرة كالأعمال البدنية والمالية والمركبة منهما- وجاهدوا أنفسهم على هذا, وجاهدوا أعداء الله بالحجة والبرهان, والسيف والسنان.

وثانيهما: تجارة ربحها الخسران وأصناف الحسرات, وهي كل تجارة مشغلة عن طاعة الله, ومفوتة لتلك التجارة الرابحة, قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١] وكم في القرآن من مدح تلك التجارة والحث عليها, والثناء على أهلها, ومن ذم التجارة الأخرى والزجر عنها والذم لأهلها, وأهل التجارة الرابحة إذا اشتغلوا بتجارة المعاش لم تكن قاطعة لهم عن تجارتهم, بل ربما كانت عوناً لهم عليها إذا أحسنوا فيها النية, وسلموا من المكاسب الرديئة, وأخذوا منها مقدار الحاجة, قال تعالى:﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧] فلم يقل: إنهم لا يتجرون ولا يبيعون, بل أخبر أنهم لو فعلوا ذلك لم يشغلهم عن المقصود وهو ذكر الله وأمهات العبادات- وعطف البيع على التجارة-وإن كان البيع داخلاً فيها- لأنه أعظم الأسباب التي تحصل بها التجارة وأنواع المكاسب وأبرُكها والله أعلم.

-(٦٤)

لطف الله بعبده:

إذا قال العبد: يا لطيف الطف بي, أو لي, وأسألك لطفك, فمعناه: تولني ولاية خاصة, بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة, وبها تندفع عني جميع المكروهات...فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به.

ومن لطفه: أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء, التي هذا طبعها وديدنها, فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى, ويصرف عنهم السوء والفحشاء, فتوجد أسبابُ الفتنة, وجواذب المعاصي, وشهوات الغي, فيرسل الله عليها برهان لطفه, نور إيمانهم الذي منّ به عليهم, فيدعونها مطمئنين لذلك, منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم, فقد يرون شيئاً وغيره أصلح, فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه, لطفاً بهم براً وإحساناً ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشوري:١٩] ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧]

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهّلَه للمراتب العالية والمنازل السامية التي لا تُدرك إلا بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية, والعزائم السامية– أن يُقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أُهِّل لها, ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى, ولتتمرن نفسه, ويصير له ملكه من جنس ذلك الأمر, وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ابتداء أمرهم رعاية الغنم, ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

ومن لطفه بهم أنه يُقدرُ عليهم أنواع المصائب, وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم ولطفاً, وسوقاً إلى كمالهم وكمال نعيمهم, ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦]

وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب, ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجلّ منها وأعلى.

ومن لطفه بعبده: أن يُقدره له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم وتأديبهم, ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧] إلى آخر قصتها

ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلد صلاح, أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم, أو لتربية العلماء الربانيين فإن هذا من أعظم لطفه بعبده, فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة: منها بل من أكثرها وأعظمها نفعاً هذه الحالة.

ومن ذلك لو نشأ العبد في بلد أهله مذهب أهل السنة والجماعة فإن هذا لطف له.

وكذلك: إذا قدر الله أن يكون مشايخه الذين يستفيد منهم_الأحياء والأموات_أهل سنةٍ وتقى, فإن هذا من اللطف الرباني.

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة, يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل, بل يُعينه على ذلك ويفرغه, ويريح خاطره وأعضاءه, وهذا من لطف الله تعالى بعبده.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تُنال إلا بأعوان: أن يقدر له أعواناً عليها ومساعدين على حملها, قال موسى عليه السلام: ﴿ وَاجعَل لي وَزيرًا مِن أَهلي * هارونَ أَخِي * اشدُد بِهِ أَزري * وَأَشرِكهُ في أَمري * كَي نُسَبِّحَكَ كَثيرًا﴾ [طه:٢٩-٣٣]

ومن لطف الله بعبده: أن يعطى عبده من الأولاد والأموال والأزواج ما به تقرّ عينه في الدنيا, ويحصل له به بالسرور, ثم يبتليه ببعض ذلك, ويأخذه ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب, فنعمةُ الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده, وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه.

ومن لطف الله بعبده: أن يبتليه ببعض المصائب, فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها, فيُنيلُه درجاتٍ عالية لا يدركها بعمله, وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك, كما فُعِلَ بأيوب عليه السلام, ويوجِد في قلبه روح الرجاء, وتأميل الرحمة, وكشف الضر, فيخفف ألمُه, وتنشط نفسه, وهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر, فخفت مصائبهم, وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه, وتنقص إيقانه, كما أن من لطفه بالمؤمن القوي: تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها, ويحملها عنه ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجرُه, فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته, وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سبباً لرحمته, فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع, والابتهال إلى ربه, وازدراء نفسه واحتقارها, وزوال العُجب والكبر من قلبه ما هو خير من كثيرٍ من الطاعات.

ومن لطف الله بعبده: أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه, فيُيسر عليه التعلم من كتابٍ أو معلمٍ يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل, وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة, وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه, فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده: قدّر الواردات الكثيرة, والأشغال المتنوعة, والتدبيرات والتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمةٍ من الناس لعجزت قواهم عليها أن يمن عليه بخلقٍ واسع, وصدر متسع, وقلبٍ منشرح, بحيث يُعطي كل فردٍ من أفرادها نظراً ثاقباً وتدبيراً تاماً وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها بل قد أعانه الله تعالى عليها, ولطف به فيها, ولطَفَ له في تسهيل أسبابها وطرقها.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة, واسترسلت في ذلك, أن يُنغصها عليه ويكدرها, فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات, محشواً بالغصص, لئلا يميل معها كل الميل, كما أن من لطفه به أن يُلذذ له التقربات, ويحلي له الطاعات, ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمالٍ لم يعملها بل عزم عليها, فيعزم على قُربةٍ من القُرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها, فيحصل له أجرها, فانظر كيف لطف الله به! فأوقعها في قلبه, وأدارها في ضميره, وقد علم تعالى أنه لا يفعلها, سوقاً لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من ذلك: أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها, هي أنفع له منها, فيدع العبد الطاعة التي تُرضى ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها, فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزومة عليها بالنية.

وألطف من هذا: أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية, ويوفر له دواعيها, وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها, ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسبابُ فعلها من أكبر الطاعات, كما لطف بيوسف عليه السلام في مراودة المرأة, وأحدُ السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

ومن لطف الله بعبده: أن يُجري بشيءٍ من ماله شيئاً من المنافع وخيراً لغيره, فيثيبه من حيث لا يحتسب, فمن غرس غرساً أو زرع زرعاً فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئاً آجر الله صاحبه وهو لا يدري! خصوصاً إذا كانت عنده نية حسنة, وعقد مع ربه عقداً في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع, فأسألك يا رب أن تأجرني, وتجعله قربةً لي عندك....ككتابٍ انتفع به في تعلم شيء منه, أو مصحف قُرئ فيه, والله ذو الفضل العظيم.ومن لطف الله بعبده: أن يفتح له باباً من أبواب الخير لم يكن له على بال, وليس ذلك لقلة رغبته فيه, وإنما هو غفلة منه, وذهول عن ذلك الطريق, فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه, واللافت إليه, ففرح بذلك, وعرف أنها من ألطاف سيده وطُرقه التي قيض وصولها إليه, فصرف لها ضميره, ووجّه إليها فكره, وأدرك منها ما شاء الله وفتح.

بركة الله لا نهاية لها, وجوده لا حد له:

بركة الله لا نهاية لها, وجوده لا حد له, والقليل إذا بارك فيه صار كثيراً, ولا قليل في نعم ربنا, فله الحمد والشكر بجميع أنوعهما حمداً على ما له من أنواع الكمالات, وشكراً على ما أسدى إلى الخلق من الإفضالات والهبات, بالقلب واللسان والجوارح, كثيراً طيباً مباركاً فيه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
كتاب:بهجة قلوب الأبرار وقُرةُ عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار	٤
المجاهد حقيقية	٤
من أسباب العشرة الطيبة بين الزوجين	٥
بركة الرزق	٥
العلم النافع	٥
خير الناس وشر الناس	٥
من أسباب صفاء القلب ونقائه	٥
البشرى للمؤمن في الدنيا والآخرة	٦
أشياء مجربة	٧
كتاب:شرح عمدة الأحكام	٨
المراد بفتنة المسيح الدجال	٨
مراتب الدعوة إلى الله	٨
استحباب الصلاة لجميع الآيات التي تقع خارقة للعادة	٨
لا منافاة أن يدرك الكسوف بالحساب وأن يكون مما يخوف الله به عباده	٩
عدم إفشاء وإعلان الكسوف	٩
خطبة الكسوف مستحبة في هذا الزمن	٩

الذنوب سبب العقوبات في الدنيا والآخرة	٩
التعزية	١٠
مراعاة المصالح وتقديم الراجح منها	١٠
بركة المال ومحقه	١٠
فوائد متفرقة	١١
كتاب:فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والأخلاق والأحكام	١٢
المراد بإحصاء أسماء الله الحسنى	١٢
اسم الله الأعظم	١٢
الأخلاق الكاملة والآداب السامية	١٢
من ثمرات الإخلاص	١٣
فضل العلم	١٤
كتاب:الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	١٥
راحة القلب وسروره أسباب لا تجتمع كلها إلا للمؤمنين	١٥
الأسباب التي تدفع الهموم وتجلب السرور	١٥
كتاب:الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي	١٨
شرح حقائق هذا الدين كافية لجذب الخلق إليه	١٨
لولا تكرر الصلاة في اليوم والليلة ليَبسَت شجرة الإيمان	١٨
حِكمِ الزكاة	١٨
حِكمِ الصوم	١٩

فوائد الحج	١٩
كتاب:الإرشاد إلى معرفة الأحكام	٢٠
فوائد الزكاة	٢٠
فوائد الصوم	٢١
فوائد الحج	٢٢
كتاب:القول السديد في مقاصد التوحيد	٢٣
ثمرات التوحيد وفضائله	٢٣
وجوب معرفة ثلاثة أمور في الأسباب	٢٤
دعاء الله بأسمائه الحسنى واستحضار معانيها حتى تتأثر القلوب بآثارها	٢٥
كتاب:الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة	٢٦
فوائد الاشتغال في الفقه في الدين	٢٦
وصايا ونصائح وإرشادات الشيخ لتلميذه الشيخ عبدالله بن عقيل	٢٧
استعداد الشيخ لقبول الحق من صغار الطلبة فضلاً عن المشايخ	٢٩
رد الشيخ بلطف, على من أنكر عليه في مسألة بشدة	٢٩
علاج الشيخ الحكيم لمشكلة وقعت	٣٠
عدم إفتاء الشيخ بفتوى شيخ الإسلام في طلاق الثلاث	٣١
مراعاة المفتي للمصالح والمفاسد عند الفتوى	٣١
أسرار وحكم الحج	٣٢
كتاب:الأجوبة السعدية عن المسائل القصيمية	٣٣

سرور الشيخ بكثرة الأسئلة الواردة عليه وذكره لفوائدها	٣٣
سرور الشيخ باعتناء طلابه بالبحوث والمسائل العلمية	٣٤
عدم إفتاء الشيخ في المسائل التي يحصل فيها خصومات عند القضاة	٣٤
ثناء الشيخ على كتاب وظائف رمضان لابن رجب	٣٤
قبول الشيخ للتنبيه والانتقاد وذكره لفوائد ذلك	٣٥
استعداد الشيخ عن الرجوع عن قوله متى ظهر دليل يخالفه	٣٦
أسباب الخير الديني والدنيوي	٣٦
إعطاء الشيخ أحد تلاميذه أكثر ما طلب	٣٦
شكر الشيخ لأحد تلاميذه لتنبيه على غلط في مسألة امرأة المفقود	٣٧
شجرة الإيمان	٣٧
كتاب:القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن	٣٧
كتاب:المختارات الجليلة من المسائل الفقهية	٣٨
آداب طالب العلم	٣٨
تصور مسائل الأحكام وإدراك ما بنيت عليه من الدليل والتعليل	٣٨
كتاب:القواعد الفقهية	٣٩
علامات العلم النافع	٣٩
من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في الدنيا والآخرة	٣٩
الدين مبني على تحصيل المصالح ودفع المضار في الدين والدنيا	٤٠
أعظم ما أمر الله به, وأعظم ما نهى عنه	٤٠

من فوائد العبادات	٤٠
فوائد الاجتماع للعبادات	٤١
كتاب:القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة	٤١
أنواع العلوم الشريعة	٤١
من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه	٤١
رسالة: في آداب المُعلِّم والمتَعلِّم	٤٢
الإخلاص في طلب العلم وتعليمه	٤٢
العمل بما يدعو إليه العلم	٤٢
الحذر من المعاصي	٤٣
القناعة باليسير من الرزق	٤٣
آداب المُعلِّم	٤٣
آداب المُتعلَّم	٤٥
كتاب:التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية	٤٦
الفرج مع الكرب, والشدة لا تدوم	٤٦
فوائد الإيمان بالقضاء والقدر	٤٦
كتاب:فتنة الدجال	٤٧
فتنة المسيح الدجال نوعان	٤٧
كتاب:يأجوج ومأجوج	٤٨
إعداد القوة للعدو يدخل فيه كل شيءٍ	٤٨

كتاب:الدرة البهية شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية	٤٨
كتاب:جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين	٤٩
فوائد المشاورة	٤٩
التوكل	٥٠
أنواع الجهاد	٥٠
السياسية الدولية	٥٠
إصلاح التعليم	٥١
كتاب:القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن	٥٢
من فوائد العبادات	٥٢
الحرية النافعة	٥٣
كتاب:تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله	٥٤
لا ينفع صلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب	٥٤
كتاب:نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق	٥٥
روح الصلاة وكمالها بحضور القلب	٥٥
احتساب الزوجة في طاعة الزوج وخدمته	٥٥
التواضع عند الاجتماع بالناس ومجالستهم وإفادتهم بما ينفهم	٥٥
كتاب:البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله	٥٦
كتاب:الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف	٥٧
الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن	٥٧

كتاب:محاسن الإسلام	٥٧
كتاب:أصول العقائد الدينية	٥٨
تفاوت الناس في التوحيد	٥٨
كتاب:الدين الصحيح يحل جميع المشاكل	٥٨
قوة الإيمان والتوكل والاعتماد على الله يهون المصائب والأمراض	٥٨
كتاب:الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي	٥٨
الحدود الشرعية كفيلة بردع المجرمين وتقليل الجريمة	٥٩
الحريات إذا لم تقيد بالقيود الشرعية أدت إلى انحلال أخلاق الناس	٥٩
أخذ الحذر من الأعداء بجميع الوسائل	٦٠
الثقافة الصحيحة والتهذيب النافع هو ما جاء به الدين الإسلامي	٦٠
العلم الكفيل بكل خير ديني ودنيوي ما جاء به الكتاب والسنة	٦١
كتاب:الرياض الناضرة	٦٢
من أسباب زوال الهموم والغموم	٦٢
كتاب: المواهب الربانية من الآيات القرآنية	٦٣
ضعف اليقين في قلوب كثيرٍ من المؤمنين	٦٣
التجارات نوعان	٦٤
لطف الله بعبده	٦٥
الفهرس	٧٠